السنابل

مغامرات شرلوك هولمز

الماسة الزرقاء

وقصص أخرى

الماسة الزرقاء
وقصص أخرى

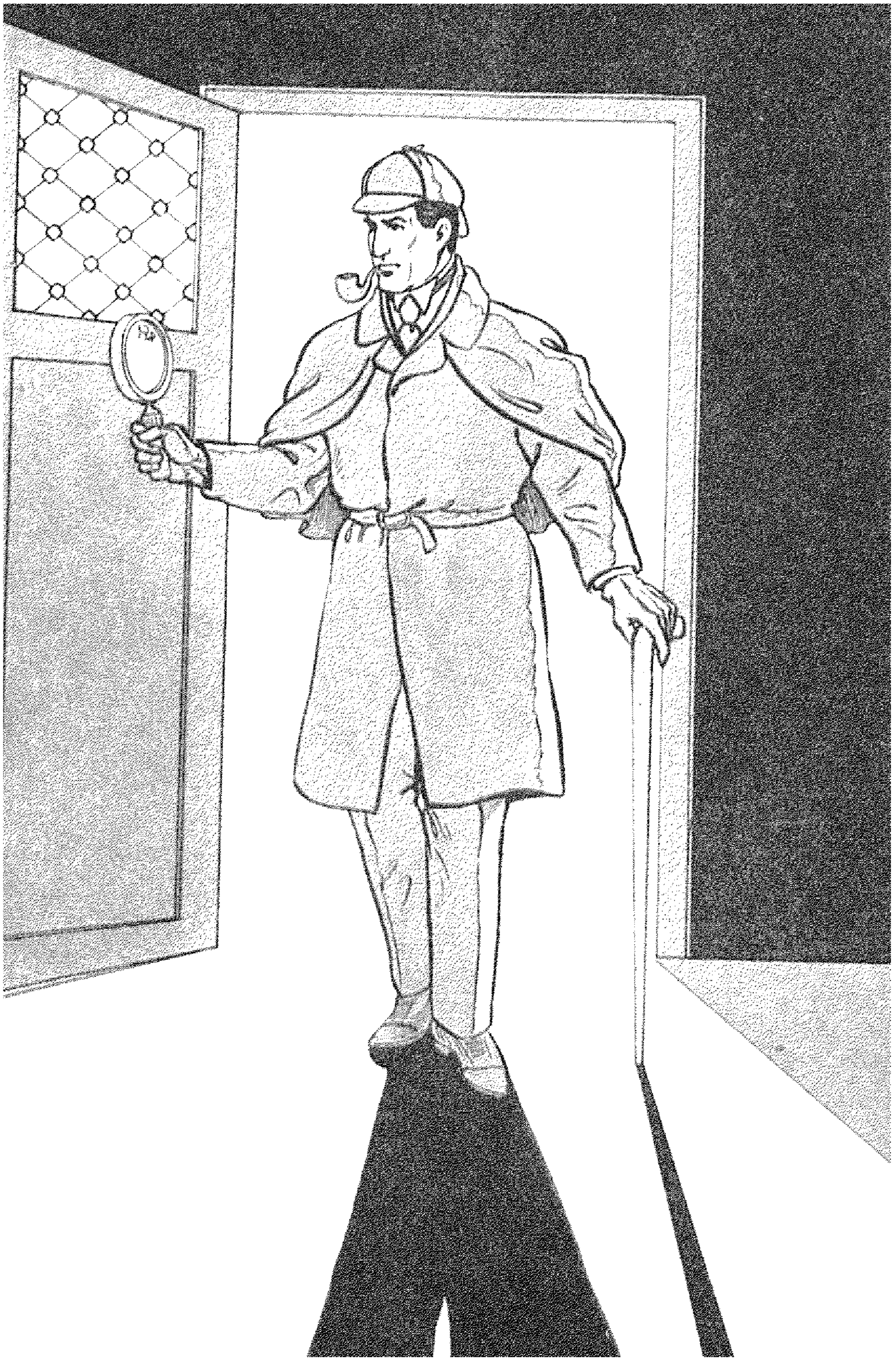

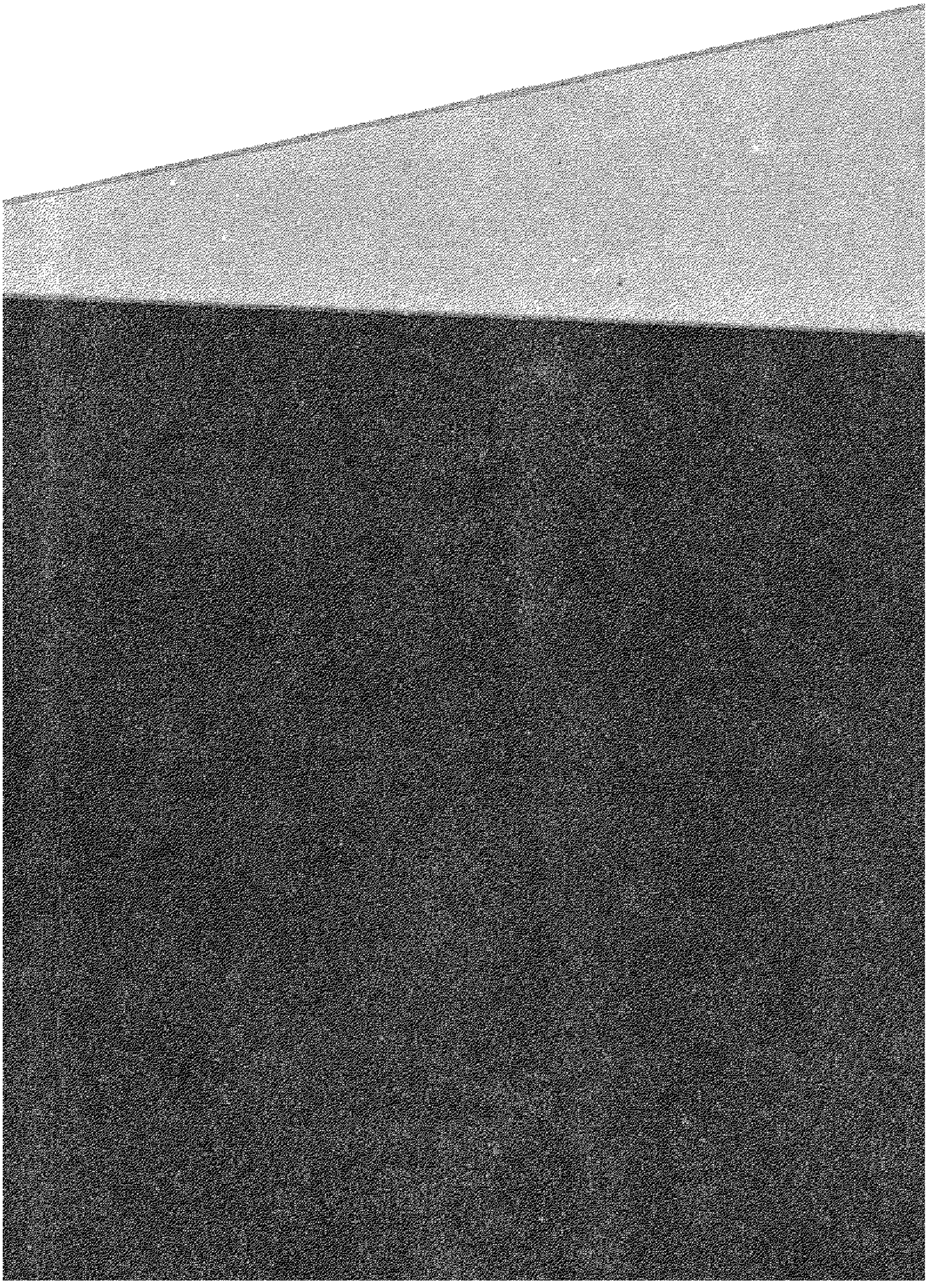

رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ١٩٩٢

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي – الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٥٥٩٦ / ١٩٩٢

الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ – ١٦ – ٠٠٩٤ – X

طبع في دار نوبار للطباعة

مغامرات شرلوك هولمز

الماسة الزرقاء

وقصص أخرى

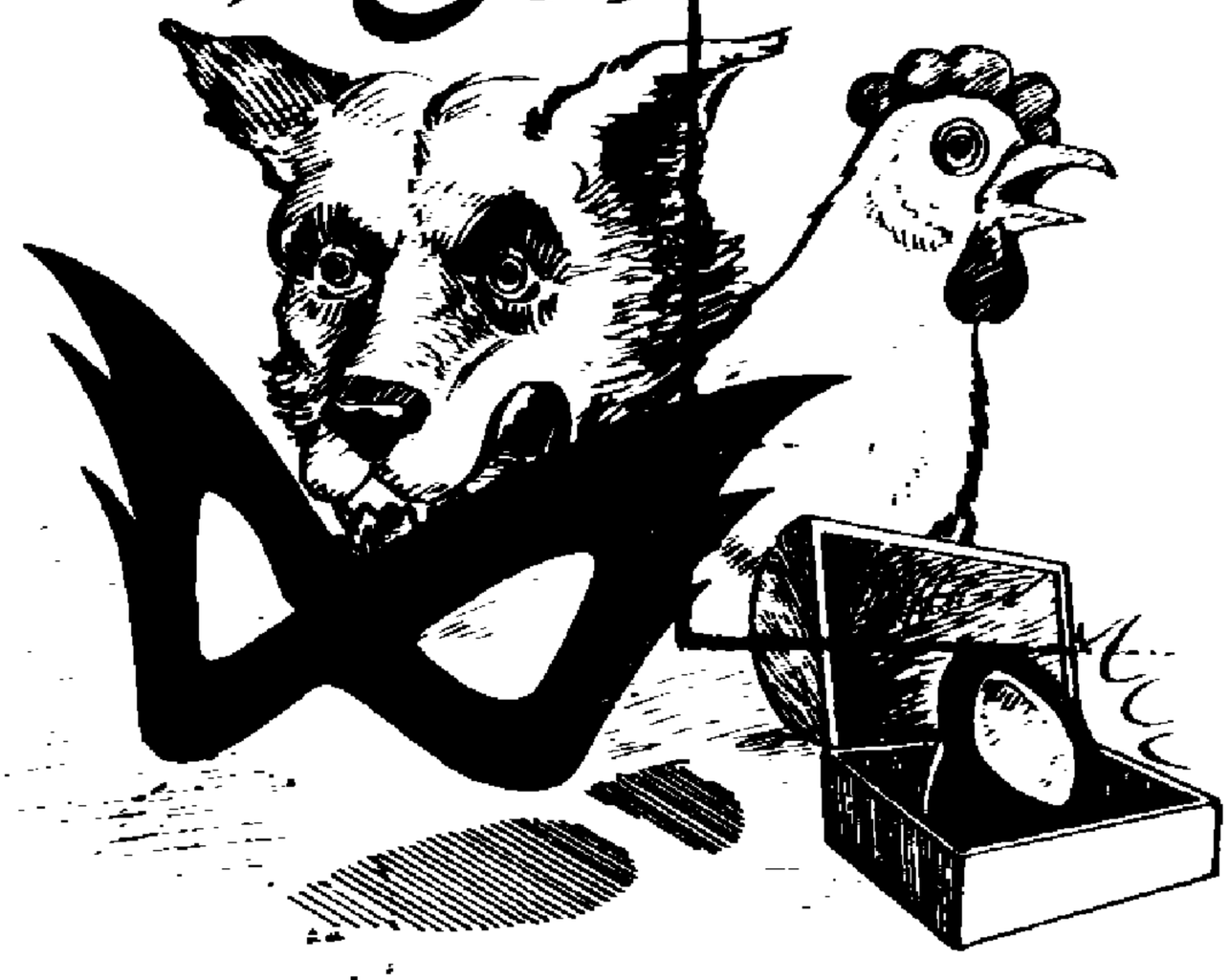

تأليف : سير آرثر كونان دويل

أعدها بالعربية : خالد محمد دادآغا

راجعها : الدكتور إبراهيم عوض

رسوم : عبد الشافي سيد

الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

الماسَة الزَّرْقاء

ذاتَ يَوْمٍ مِنْ أيّام الشِّتاءِ الماضي ذَهَبْتُ لِمُقابَلَةِ شِرْلوك هُولْمز . وَكانَ ذَلِكَ اليَوْمُ هُوَ السّابِعَ وَالعِشْرينَ مِنْ ديسمبر (كانون الأوّل) . كانَ هُولْمز جالِساً في مَقْعَدٍ وَثيرٍ يَنْظُرُ إلى قُبَّعَةٍ قَديمَةٍ .

سَأَلْتُهُ : « هَلْ أَنْتَ مَشْغولٌ ، يا هُولْمز ؟»

أجابَ : « لا ، عَلى الإطْلاقِ ، يا واطْسُن ، وَيَسُرُّني مَجيئُكَ . إنَّكَ تَعْرِفُ الكابتن بيتَرْسون . لَقَدْ أحْضَرَ إليَّ هَذِهِ القُبَّعَةَ ، كَما أحْضَرَ مَعَهُ دَجاجَةً ، وَسَوْفَ يَسْتَمْتِعُ بِإلْتِهامِها اليَوْمَ . سَأحْكي لَكَ القِصَّةَ :

« مُنْذُ يَوْمَيْنِ ، كانَ بيتَرْسون يَسيرُ في شارِعِ غودج عائِداً مِنْ حَفْلَةٍ امْتَدَّتْ حَتّى الثّالِثَةِ صَباحاً . وَعَلى ضَوْءِ مَصابيحِ الشّارِعِ رَأى أمامَهُ رَجُلاً طَويلَ القامَةِ ، يَحْمِلُ دَجاجَةً تَحْتَ ذِراعِهِ ، وَفَجْأَةً لاحَ

مِنَ الظِّلِّ رَجُلانِ أَوْقَفا الرَّجُلَ الطَّويلَ ، وَنَشِبَ بَيْنَهُمْ شِجارٌ ، فَضَرَبَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ الرَّجُلَ الطَّويلَ فَسَقَطَتْ قُبَّعَتُهُ عَلى الأَرْضِ ، وَحاوَلَ الرَّجُلُ الطَّويلُ ضَرْبَ المُعْتَدي بِعَصاهُ لَكِنَّها أَخْطَأَتْهُ فَحَطَّمَتْ واجِهَةَ أَحَدِ الحَوانيتِ . وَأَسْرَعَ الكابتن بيتَرْسون إِلى نَجْدَةِ الرَّجُلِ الطَّويلِ الَّذي صاحَ مُسْتَنْجِداً حينَ رَآهُ : « الشُّرْطَةُ !» ، وَهُرِعَ لِنِهايَةِ الشّارِعِ ، وَتَبِعَهُ الرَّجُلانِ في حينَ بَقِيَتْ عَلى الأَرْضِ قُبَّعَةٌ وَدَجاجَةٌ .»

سَأَلْتُ : « لِمَ لَمْ يُرْجِعْهُما لِلرَّجُلِ الطَّويلِ ؟»

أَجابَ : « لأَنَّ الرَّجُلَ الطَّويلَ كانَ قَدِ اخْتَفى ، يا واطْسُن . لَكِنْ كانَتْ عَلى ساقِ الدَّجاجَةِ بِطاقَةٌ مَكْتوبٌ عَلَيْها : « مِنْ أَجْلِ السَّيِّدَةِ بيكَر » وَكانَ اسْمُ هَنْري بيكَر مَكْتوباً داخِلَ القُبَّعَةِ أَيْضاً . وَحاوَلَ بيتَرْسون أَنْ يَعْثُرَ عَلى الرَّجُلِ ، لَكِنَّ عَدَدَ الَّذينَ يَحْمِلونَ هَذا الاسْمَ في مَدينَةِ لندن يَتَجاوَزُ المِئاتِ .»

سَأَلْتُهُ : « ماذا فَعَلَ إِذاً ؟»

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ أَحْضَرَ القُبَّعَةَ وَالدَّجاجَةَ إِليَّ ؛ فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ المُشْكِلاتِ الصَّغيرَةِ تُثيرُ اهْتِمامي . فَاحْتَفَظْتُ بِالدَّجاجَةِ حَتّى اليَوْمِ ، لَكِنَّني لَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ الاحْتِفاظِ بِها مُدَّةً أَطْوَلَ ؛ فَقَدِ

اسْتَعادَها ، وَلا بُدَّ أَنَّهُ يَلْتَهِمُها الآنَ .»

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ انْفَتَحَ البابُ ، وَانْدَفَعَ الكابتن بيترَسْون داخِلاً الغُرْفَةَ . وَكانَ في غايَةِ الاضْطِرابِ ، وَصاحَ : « الدَّجاجَةُ ، يا سَيِّدْ هُولْمز ! الدَّجاجَةُ !»

قالَ هُولْمز : « ماذا حَدَثَ ؟ هَلْ عادَتْ إلى الحَياةِ ، وَطارَتْ مِنَ النّافِذَةِ ؟»

صاحَ بيترْسون : « انْظُرْ ماذا وَجَدَتْ زَوْجَتي داخِلَ الدَّجاجَةِ .» وَمَدَّ يَدَهُ ، فَإذا نَحْنُ أمامَ حَجَرٍ أزْرَقَ جَميلٍ يَشِعُّ بِبَريقٍ أخّاذٍ .

صاحَ هُولْمز : « يا إلَهي ! لَقَدْ عَثَرْتُ عَلى كَنْزٍ ، يا بيترْسون ! هَلْ تَدْري ما هَذِهِ ؟»

أجابَ بيترْسون : « إنَّها ماسَةٌ ثَمينَةٌ لِلْغايَةِ .»

قالَ هُولْمز : « إنَّها أكْثَرُ مِنْ مُجَرَّدِ ماسَةٍ ، إنَّها الماسَةُ الزَّرقاءُ ذائِعَةُ الصّيتِ .»

سَأَلْتُ : « أ لَيْسَتْ هَذِهِ ماسَةَ اللّيدي مورْكار الزَّرقاءَ ؟»

أجابَ هُولْمز : « إنَّها هِيَ بِالطَّبْعِ ، فَأنا أعْرِفُ حَجْمَها وَشَكْلَها ؛ لأنَّني قَرَأْتُ عَنْها الكَثيرَ في الصُّحُفِ . لَقَدْ رَصَدَتْ اللّيدي مورْكار

مُكافأةً قَدْرُها أَلْفُ جُنَيْهٍ لِمَنْ يَسْتَرْجِعُها .»

قالَ بيتَرْسون : « أَلفُ جُنَيْهٍ ؟ إذاً لا بُدَّ أَنَّها تُساوي أَضْعافَ ذَلِكَ عِشْرينَ مَرَّةً !»

سَأَلْتُ : « أَ لَيْسَتْ هِيَ الَّتي سُرِقَتْ مِنَ اللَيدي مورْكار في فُنْدُقِ كوزْمويوليتان ؟»

أَجابَ هُولمْز : « هَذا صَحيحٌ ؛ فَقَدْ سُرِقَتْ في الثّاني وَالعِشْرينَ مِنْ ديسمبر (كانون الأوَّل) ، وَمُنْذُ خَمْسَةِ أَيامٍ عَلى وَجْهِ التَّحْديدِ . وَتَقولُ الشُّرْطَةُ : إنَّ رَجُلاً يُدْعى جون هورْنَر هُوَ الَّذي سَرَقَها . وَقَدْ نُشِرَ في الصَّحيفَةِ تَقْريرٌ حَوْلَ ذَلِكَ .» ثُمَّ بَحَثَ هُولمْز في رُكامٍ مِنَ الصُّحُفِ وَقالَ : « ها هُوَ ذا التَّقْريرُ : «« سُرِقَتْ ماسَةُ اللَيدي مورْكار الَّتي كانَتْ تَنْزِلُ في فُنْدُقِ كوزمويوليتان . وَقَدِ اخْتَفَتْ الماسَةُ الزَّرْقاءُ الشَّهيرَةُ مِنْ حُجْرَتِها في الفُنْدُقِ يَوْمَ الثّاني وَالعِشْرينَ مِنْ ديسمبر (كانون الأوَّل) . وَتَعْتَقِدُ الشُّرْطَةُ أَنَّ رَجُلاً يُدْعى جون هورْنر هُوَ الَّذي سَرَقَها ، وَهُوَ في السّادِسَةِ وَالعِشْرينَ مِنَ العُمْرِ ، وَيَعْمَلُ في الفُنْدُق المَذْكورِ . وَيَقولونَ إنَّ جيمس رايدر –وَهُوَ نادِلٌ في الفُنْدُقِ – لاحَظَ وُجودَ مِنْضَدَةٍ مَكْسورَةٍ في حُجْرَةِ السَّيِّدَةِ ؛ فَطَلَبَ مِنْ هورْنر إصْلاحَها ، وَتَوَجَّهَ مَعَهُ إلى الحُجْرَةِ لِيُرِيَهُ المِنْضَدَةَ وَكانَ عَلى رايدر أَنْ يُغادِرَ الحُجْرَةَ لِدَقائِقَ مَعْدوداتٍ ، وَعِنْدَما

عادَ لَمْ يَجِدْ هورْنر . وَعَلى أَرْضِ الغُرْفَةِ وَجَدَ عُلْبَةَ مُجَوْهَراتٍ مَكْسورَةً وَمُلْقاةً . وَتَقولُ الشُّرْطَةُ إنَّ الماسَةَ الزَّرْقاءَ كانَتْ داخِلَ تِلْكَ العُلْبَةِ . وَقَدِ اسْتَجَوَبَ رِجالُ الشُّرْطَةِ هورْنر في الحالِ ، فَأَنْكَرَ رُؤيَةَ العُلْبَةِ كَما أَنْكَرَ وُجودَ الماسَةِ أَيْضاً . إنَّ هورْنر مَعْروفٌ لَدى رِجالِ الشُّرْطَةِ ؛ لأَنَّهُ سَبَقَ أَنْ سَرَقَ نُقوداً مِنْ حُجْرَةٍ في الفُنْدُقِ .»»

عَقَّبَ هُولْمز : « تِلْكَ هِيَ القِصَّةُ . إنَّنا نَعْرِفُ نِهايَتَها فَقَطْ .»

قالَ بيتَرْسون : « أَجَلْ . لَقَدْ انْتَهَتِ القِصَّةُ ، وَالماسَةُ في بَطْنِ الدَّجاجَةِ !»

قُلْتُ : « لَقَدِ اخْتَفَتِ الماسَةُ مِنْ حُجْرَةِ اللّيدي مورْكار ، فَكَيْفَ آلَتْ إلى بَطْنِ الدَّجاجَةِ ؟»

قالَ هُولْمز : « تُدْرِكُ الآنَ ، يا واطْسُن ، كَما أُدْرِكُ أَنَّ القُبَّعَةَ القَديمَةَ وَالدَّجاجَةَ هامَّتان . نَحْنُ الآنَ أمامَ جَريمَةٍ . وَها هِيَ ذي الماسَةُ الزَّرْقاءُ الَّتي وُجِدَتْ داخِلَ بَطْنِ الدَّجاجَةِ . إنَّ السَّيِّدَ هنري بيكَر تَسَلَّمَ الدَّجاجَةَ ، وَالخُطْوَةُ التّالِيَةُ هِيَ البَحْثُ عَنْهُ . وَلَعَلَّ أَفْضَلَ طَريق لِذَلِكَ هُوَ طَريقُ الصَّحافَةِ . إليَّ بِقَلَمٍ وَ وَرَقَةٍ ، يا واطْسُن ، فَسَأُرْسِلُ الآنَ هَذا الإعْلانَ إلى الصَّحيفَةِ : «« عُثِرَ في شارِعِ غودج عَلى دَجاجَةٍ وَقُبَّعَةٍ سَوْداءَ يُرْجى مِنَ السَّيِّدِ هَنْري بيكَر التَّكَرُّمُ

بِالمَجيءِ إلى العُنْوانِ التّالي لاسْتِلامِ دَجاجَتِهِ وَقُبَّعَتِهِ : ٢٢١ ب ، شارِعُ بيكَر » .»

سَأَلْتُهُ : « هَلْ تَعْتَقِدُ أنْ يَقْرَأَ السَّيِّدُ بيكَر هَذا الإعلانَ ؟»

أجابَ هُولْمز : « آمُلُ أنْ يَراهُ .» وَالْتَفَتَ إلى بيتَرْسون قائِلاً : « إنَّ مَقَرَّ الصَّحيفَةِ يَقَعُ في طَريقِكَ إلى البَيْتِ ، يا بيتَرْسون ، فَهَلّا أوْصَلْتَ هَذا الإعلانَ إلَيْهِمْ ؟»

قالَ بيتَرْسون : « بِالتَّأكيدِ ، لَكِنْ ماذا سَتَفْعَلُ أنْتَ بِالماسَةِ ؟»

قالَ هُولْمز : « سُؤالُكَ في مَحَلِّهِ حَقًّا . ماذا سَأفْعَلُ بِها ؟ إنَّني سَأحْتَفِظُ بِها لِبَعْضِ الوَقْتِ ثُمَّ أرُدُّها إلى الليدي مورْكار . شُكْرًا لَكَ يا بيتَرْسون .»

خَرَجَ بيتَرْسون ، فَقالَ هُولْمز : « سَوْفَ يأتي السَّيِّدُ هَنْري بيكَر لأخْذِ دَجاجَتِهِ ، وَعَلَيَّ أنْ أشْتَريَ بَديلَةً عَنْها .» وَرَفَعَ الماسَةَ أمامَ المِصْباحِ ، وَصاحَ : « يا لَهُ مِنْ حَجَرٍ بَديعٍ ! سَأضَعُهُ في مَكانٍ أمينٍ ، ثُمَّ أرْسِلُ خِطابًا إلى الليدي مورْكار ، فَالنَّبَأ سَوْفَ يُسْعِدُها .»

سَأَلْتُ : « هَلْ تَعْتَقِدُ أنَّ جون هورْنر هُوَ الَّذي سَرَقَ الماسَةَ ؟»

أجابَ هُولْمز : « يَقولُ إنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ .»

سَأَلْتُ : « كَيْفَ حَصَلَ هَنْري بيكَر عَلى الماسَةِ إذاً ؟»

أجابَ هُولْمز : « لَمْ يَسْرِقْ هَنْري بيكَر الماسَةَ الزَّرْقاءَ ، وَلَعَلَّها كانَتْ في دَجاجَتِهِ دونَ عِلْمِهِ . وَأَكْبَرُ الظَّنِّ أَنَّهُ لا يَعْرِفُ شَيْئاً عَنْها. عَلى أَيَّةِ حالٍ سَوْفَ نَتَأَكَّدُ مِنْ ذَلِكَ .»

سَأَلْتُ : « مَتى ؟»

قالَ : « عِنْدَما يأتي لاسْتِلامِ دَجاجَتِهِ .»

سَأَلْتُ : « أَ لا نَسْتَطيعُ عَمَلَ شَيْءٍ قَبْلَ ذَلِكَ ؟»

أجابَ هُولْمز : « لا شَيءَ عَلى الإطْلاقِ .»

قُلْتُ : « سَأَذْهَبُ الآنَ لِقَضاءِ بَعْضِ أَعْمالي ، وَسَوْفَ أعودُ مَساءً ؛ فإني تَوّاقٌ لأعْرِفَ أَحْداثَ هَذِهِ القِصَّةِ .»

قالَ هُولْمز : « سَوْفَ يَسُرُّني أَنْ أَراكَ . تَعالَ لِتَناوُلِ العَشاءِ مَعي . سَنَتَناوَلُ دَجاجَةً .» وَأَضافَ مُبْتَسِماً : « وَسَأَنْظُرُ في بَطْنِها ؛ لَعَلّي أَعْثُرُ عَلى ماسَةٍ أنا أَيْضاً .»

وَعُدْتُ في ذَلِكَ المَساءِ إلى شارِعِ بيكَر ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً طَويلاً يَقِفُ عِنْدَ البابِ . وَلَمّا فَتَحَ هُولْمز لَهُ البابَ بادَرَهُ قائِلاً : « لا بُدَّ أَنَّكَ السَّيِّدُ هَنْري بيكَر ، تَفَضَّلْ بالدُّخولِ . أَهْلاً ، يا واطْسُن ، لَقَدْ جِئْتَ

في الوَقْتِ المُناسِبِ .»

وَصَعِدْنا جَميعاً إلى حُجْرَةِ هُولْمز .

قالَ هُولْمز : « تَفَضَّلوا بِالجُلوسِ قُرْبَ المِدْفَأةِ ؛ فَاللَّيْلُ بارِدٌ حَقًّا .» ثُمَّ حَمَلَ القُبَّعَةَ القَديمَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَأَلَ الرَّجُلَ : « أ هِيَ قُبَّعَتُكَ ، يا سَيِّدُ بيكَر ؟»

أجابَ بيكَر عَلى الفَوْرِ : « أَجَلْ ، إنَّها هِيَ .»

كانَ هَنْري بيكَر رَجُلاً طَويلاً ذا شَعْرٍ أشْيَبَ ، عَلَيْهِ ثِيابٌ رَثَّةٌ تَدُلُّ عَلى فَقْرِهِ .

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ احْتَفَظْتُ لَكَ بِقُبَّعَتِكَ .»

قالَ هَنْري بيكَر : « شُكْرًا لَكَ . لَقَدْ خُيِّلَ إلَيَّ أنَّني فَقَدْتُها إلى الأبَدِ بَعْدَ أنْ هاجَمَني نَفَرٌ مِنَ الرِّجالِ في الشّارِعِ .»

قالَ هُولْمز : « أمّا دَجاجَتُكَ فَقَدْ أكِلَتْ .»

صاحَ هَنْري بيكَر مُلْتاعاً : « أكِلَتْ ! إذًا لِماذا جِئْتُ إلى هُنا ؟»

قالَ هُولْمز : « لا تَبْتَئِسْ ! عِنْدي لَكَ دَجاجَةٌ أخْرى تَسْتَطيعُ أخْذَها ، وَهِيَ بِحَجْمِها وَجَوْدَتِها . فَهَلْ تَرْغَبُ في تَناوُلِها ؟» قالَ هَنْري بيكَر : « طَبعاً يا سَيِّدي ، وَأنا جِدُّ شاكِرٍ لَكَ .»

قالَ هُولمز : « إليْكَ الدُّجاجَةَ والقُبَّعَةَ . ولَدَيَّ سُؤالٌ واحِدٌ فَقَطْ أريدُكَ أنْ تُجيبَني عَنْهُ : مِنْ أيْنَ اشْتَرَيْتَ دجاجَتَكَ ؟»

قالَ بيكر : « اشْتَرَيْتُها مِنْ عِنْدِ السَّيِّدِ وينديغيت ، مالِكِ فُنْدُقِ ألفا القَريبِ مِنَ المتْحَفِ البريطانيِّ . إنَّني الآنَ رَجُلٌ بِلا عَمَلٍ ، وأمضَّي مُعْظَمَ أيّامي في المتْحَفِ . أنا رَجُلٌ مُعْدِمٌ ، يا سَيِّدي ، وقَدِ اشْتَرَيْتُ الدَّجاجَةَ عَلى أقْساطٍ أدْفَعُها لِلسَّيِّدِ وينديغيت أسْبوعِيًّا . شُكْرًا لَكَ ، يا سَيِّدُ هُولمز ، عَلى القُبَّعَةِ ؛ فأنا بِحاجَةٍ ماسَّةٍ إلَيْها ، فاللَّيْلُ شَديدُ البُرودَةِ .» وانْصَرَفَ الرَّجُلُ .

أغْلَقَ هُولمز البابَ وَراءَهُ ، وقالَ : « باسْتِطاعَتِنا نِسْيانُ أمْرِ السَّيِّدِ هَنْري بيكَر ؛ فَهُوَ لا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الماسَةِ . هَلْ أنْتَ جائِعٌ ، يا واطْسُنْ ؟»

قُلْتُ : « لَيْسَ إلى حَدٍّ بَعيدٍ .»

قالَ : « إذًا نَسْتَطيعُ إرْجاءَ عَشائِنا ، فَلَدَيْنا الآنَ عَمَلٌ يَجِبُ أنْ نَقومَ بِهِ .» ومَضَيْنا مُسْرِعَيْنِ عَبْرَ شَوارِعِ لندن . وكانَ البَرْدُ قارِسًا ، والسَّماءُ صافِيَةً ، والنُّجومُ مُتَلألِئَةً . وبَعْدَ رُبْعِ السّاعَةِ ، وَصَلْنا إلى فُنْدُقِ ألفا وَ دَخَلْناهُ . وسَألَ هُولمز عَنِ السَّيِّدِ وينديغيت . وَحينَ أقْبَلَ الرَّجُلُ بادَرَهُ هُولمز قائِلاً : « بِوُدّي أنْ أشْتَرِيَ بَعْضًا مِنْ

دَجاجِكِ .»

قالَ السَّيِّدُ ويندِيغيت : « إنَّهُ لَيْسَ دَجاجي أنا . لَقَدِ اشْتَرَيْتُهُ مِنْ سوقِ حَديقَةِ كوڤنت .»

سَأَلَ هُولْمز : « مَنِ الَّذي باعَكَ إيّاهُ ؟»

أجابَ ويندِيغيت : « رَجُلٌ يُدْعى بِريكِنْريدْج .»

وَبَعْدَ دَقائِقَ مَعْدوداتٍ كُنّا في طَريقِنا إلى سوقِ حَديقَةِ كوڤنت .

قالَ هُولْمز : « نَحْنُ ذاهبانِ لِلقاءِ السَّيِّدِ بِريكِنْريدْج . لَقَدْ باعَ الدَّجاجَةَ وَالماسَةُ في بَطْنِها . لَكِنْ مِنْ أَيْنَ جاءَ بِالدَّجاجَةِ ؟ ذَلِكَ هُوَ السُّؤالُ .»

وَصَلْنا إلى السّوقِ فَوَجَدْنا السَّيِّدَ بِريكِنْريدْج دونَ كثيرِ عَناءٍ ، وَكانَ يَسْتَعِدُّ لِمُغادَرَةِ المكانِ . وَبادَرَهُ هُولْمز مُحَيِّيًا : « مَساءُ الخَيْرِ ، هَلْ نَفَدَ كُلُّ ما لَدَيْكَ مِنْ دَجاجٍ ؟»

قالَ بِريكِنْريدْج : « أجَلْ ، لَكِنَّني سَأَجْلُبُ مَزيداً مِنْها غَداً .»

قالَ هُولْمز : « سَيَكونُ ذَلِكَ بَعْدَ فَواتِ الأوانِ .»

قالَ الرَّجُلُ وَقَدْ أشارَ إلى بائِعٍ قَريبٍ مِنْهُ : « عِنْدَهُمْ بَعْضُ الدَّجاجِ هُناكَ .»

قالَ هُولمز : « لَكِنَّي أَقْصِدُكَ أَنْتَ بِالذّاتِ ، فَأنا مَبْعوثٌ إِلَيْكَ .»

قالَ الرَّجُلُ : « وَمَنِ الَّذي بَعَثَكَ إِليَّ ؟»

أجابَ هُولمز : « السَّيِّدُ وِينديغيت مِنْ فُنْدُقِ ألفا .»

قالَ الرَّجُلُ : « نَعَمْ ، لَقَدْ بِعْتُهُ مِنْها أَرْبَعاً وَعِشْرينَ دَجاجَةً .»

قالَ هُولمز : « لَقَدْ كانَتْ جَيِّدَةً حَقًّا . مِنْ أَيْنَ اشْتَرَيْتَها ؟»

قالَ بِريكِنْريدْج وَقَدْ ضاقَ صَدْرُهُ : « وَلِمَ تُريدُ أَنْ تَعْرِفَ ؟»

قالَ هُولمز : « لَيْسَ ذَلِكَ بِالمُهِمِّ . لَكِنْ ما الَّذي أَغْضَبَكَ ؟»

قالَ بِريكِنْريدْج : « إِنَّني عاضِبٌ لأَنَّني مُرْهَقٌ مِنْ أَمْثالِكَ مِنَ النّاسِ . لَقَدْ تَرَدَّدَ عَلَيَّ اليَوْمَ رَجُلٌ ثَقيلٌ أَتعَبَتْني أَسْئِلَتُهُ الحَمْقاءُ . لَقَدْ سَأَلَني أَيْنَ كانَتِ الدَّجاجَةُ ، وَمَنِ اشْتَراها ، وَكُنْتُ جِدَّ مَشْغولٍ لِذا طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَنْصَرِفَ عَنّي .»

قالَ هُولمز : « إِنَّني لا أَعْرِفُ ذَلِكَ الرَّجُلَ ، وَكُلُّ ما في الأَمْرِ أَنَّني وَصَديقي قَدِ اشْتَرَيْنا إِحْدى الدَّجاجاتِ مِنْ فُنْدُقِ ألفا ، وَكانَتْ جَيِّدَةً فِعْلاً . وَيَقولُ صَديقي إِنَّها إِنْتاجُ المَدينَةِ ، وَأَقولُ إِنَّها مِنْ إِنْتاجِ الرِّيفِ .»

قالَ بِريكِنْريدْج : « إِذاً فَأَنْتَ مُخطِئٌ ، يا سَيِّدي . إِنَّها مِنْ لندن

بِالذّاتِ .»

قالَ هُولمز : « إنَّ ذَلِكَ لا يُمكِنُ أنْ يَكونَ !»

صاحَ بِريكِنْريدْج غاضِباً : « وَما الّذي يُجْبِرُني عَلى الكَذِبِ .» ثُمَّ رَفَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ دَفْتَراً ، وَقالَ : « انْظُرْ . إنَّ هَذا مَكْتوبٌ هُنا : « ديسمبر (كانون الأوَّل) – اشْتَرَيْتُ أَرْبَعاً وَعِشْرينَ دَجاجَةً مِنَ السَّيِّدَةِ أوكشوت ، ١١٧ بِطَريق بريكستون ، وَبِعْتُها إلى السَّيِّدِ ويندِيغيت مِنْ فُنْدُقِ ألفا .» وَمِنْ ثُمَّ فَأَنْتَ مُخْطِئٌ أيُّها الصَّديقُ الذَّكِيُّ .»

قال هُولمز : « إنَّني جِدُّ آسِفٍ وأَرْجو أنْ تُسامِحَني !» وتَرَكْنا السَّيِّدِ بريكِنْريدْج ومَضَيْنا . وكانَ هُولمز يَضْحَكُ ضِحْكًا مُتَّصِلاً ، ثُمَّ قالَ : « حَسَنٌ ، يا واطْسُن ، ذَلِكَ ما كُنْتُ أريدُ . نَحْنُ نُشْرِفُ على نِهايَةِ هَذِهِ القَضِيَّةِ ، وسَوْفَ نَكْتَشِفُ السِّرَّ عِنْدَ السَّيِّدَةِ أوكشوت .»

وفَجْأَةً سَمِعْنا صَخَبًا وَراءَنا ؛ كانَ بِريكِنْريدْج يَتَشاجَرُ مَعَ رَجُلٍ ضَئيلٍ .

صاحَ بِريكِنْريدْج : « إنَّني مُتْعَبٌ مِنْكَ ومِنْ دَجاجِكَ . لَقَدِ اشْتَرَيْتُها مِنَ السَّيِّدَةِ أوكشوت .»

قالَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ : « لَكِنَّ واحِدَةً منها تَخُصُّني أنا .»

قالَ بريكِنْريدج : « اذْهَبْ إذًا وتَفاهَمْ مَعَ السَّيِّدَةِ أوكشوت .»

قالَ الرَّجُلُ : « إنَّها هِيَ الَّتي بَعَثَتْني إلَيْكَ .»

قالَ بِريكِنْريدْج : « انْصَرِفْ مِنْ فَضْلِكَ !» ورَفَعَ يَدَهُ وكَأَنَّهُ سَيَنْزِلُ بِها عَلَيْهِ . لَكِنَّ الرَّجُلَ الضَّئيلَ عَدا مُبْتَعِدًا .

قالَ هُولمز : « هَيّا بِنا . إنَّ هَذا قَدْ يُوَفِّرُ عَلَيْنا زِيارَةَ السَّيِّدَةِ أوكشوت . يَنْبَغي أنْ نُمْسِكَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ .» وراحَ يَعْدو خَلْفَهُ حَتّى أدْرَكَهُ ولَمَسَ ذِراعَهُ ، فَوَقَفَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ واسْتَدارَ مُواجِهًا هُولمز ، وقَدْ بَدا عَلَيْهِ ذُعْرٌ شَديدٌ .

سَأَلَ هُولْمز : « مَنْ أَنْتَ ؟ وَماذا تُريدُ ؟»

رَدَّ هُولْمز : « مَعْذِرَةً ! لَقَدْ رَأَيْتُكَ تَتَحَدَّثُ إلى السَّيِّدِ بِريكِنْريدْج ، وَقَدْ سَمِعْتُ ما دارَ بَيْنَكُما ، وَأَسْتَطيعُ مُساعَدَتَكَ .»

قالَ الرَّجُلُ : « وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟»

أَجابَ هُولْمز : « إِنَّني أَدَّعي شِرْلوك هُولْمز ، وَأَنْتَ تَبْحَثُ عَنْ دَجاجَةٍ باعَتْها السَّيِّدَةُ أوكشوت لِلسَّيِّدِ بِريكِنْريدْج ، الَّذي باعَها بِدَوْرِهِ لِلسَّيِّدِ وَينديغيت بِفُنْدُقِ ألفا ، ثُمَّ باعَها السَّيِّدُ وينديغيت إلى السَّيِّدِ هَنْري بيكَر .»

قالَ الرَّجُلُ وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ أمارات الجِدِّ : « إِذاً بِوُدّي أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ .»

كانَتْ إحدى سَيّاراتِ الأُجْرَةِ تَعْبُرُ الشّارِعَ ، فَأَشارَ إِلَيْها هُولْمز بِالوُقوفِ ، وَقالَ لِلرَّجُلِ الضَّئيلِ : « تَعالَ إلى مَنْزِلي . نَسْتَطيعُ التَّحَدُّثَ هُناكَ بِحُرِّيَّةٍ . ما اسْمُكَ ؟»

تَرَدَّدَ الرَّجُلُ قَليلاً ، ثُمَّ قالَ : « اسْمي جون روبنسون .»

قالَ هُولْمز : « لا . لا . أريدُ اسْمَكَ الحَقيقيَّ . يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ اسْمَكَ الحَقيقِيَّ .»

شَرِقَ وَجهُ الرَّجُلِ ، وَقالَ : « اسْمي الحَقيقيُّ هُوَ جيمس رايدر .»

قالَ هُولْمز : « وَتَعْمَلُ في فُنْدُقِ الكوزموبوليتان . اصْعَدْ إلى السَّيّارَةِ مِنْ فَضْلِكَ .» وَصَعِدْنا إلى السَّيّارَةِ جَميعاً . لَمْ نَنْبِسْ خِلالَ الطَّريقِ بِبِنْتِ شَفَةٍ . وَبَعْدَ نِصْفِ السّاعَةِ وَصَلْنا شارِعَ بيكَر ، وَدَخَلْنا إلى حُجْرَةِ هُولْمز ، فَقالَ : « ها قَدْ وَصَلْنا . الغُرْفَةُ دافِئَةٌ ، وَأَراكَ تَشْعُرُ بِالبَرْدِ ، يا سَيِّدُ رايدر ، فَتَفَضَّلْ بِالجُلوسِ بِالقُرْبِ مِنَ المِدْفأةِ . لا بُدَّ أَنَّكَ تُريدُ أَنْ تَعْرِفَ شَيْئاً عَنْ مَوْضوعِ الدَّجاجِ . إِنَّكَ وَلا رَيْبَ تَبْحَثُ عَنْ دَجاجَةٍ رَقْطاءَ .»

صاحَ رايدر : « هَذا صَحيحٌ . أَيْنَ هِيَ ؟»

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ حَضَرَتْ إلى هَذا المَكانِ !»

قالَ الرَّجُلُ : « إلى هَذا المَكانِ ؟»

قالَ هُولْمز : « أَجَلْ ، وَكانَتْ في داخِلِها بَيْضَةٌ زَرْقاءُ جَميلَةٌ ، وَهِيَ عِنْدي الآنَ .»

وَرَفَعَ هُولْمز الماسَةَ الزَّرْقاءَ بِيَدِهِ فَتَلأْلأَتْ كَأَنَّها نَجْمَةٌ ، وَنَهَضَ رايدر وَراحَ يُحَدِّقُ إلى الماسَةِ .

قالَ هُولمْز : « لَقَدِ انْتَهى أمْرُكَ ، يا رايدر ! فَأَنْتَ سارِقُ هَذِهِ الماسَةِ !»

كاد رايدر يَسْقُطُ عَلى الأَرْضِ ، فَصاحَ هُولمْز : « أَمْسِكْ بِهِ ، يا واطْسُن ، وَأَجْلِسْهُ في ذَلِكَ المَقْعَدِ .» وَسارَعْتُ فَأَجْلَسْتُ رايدر في

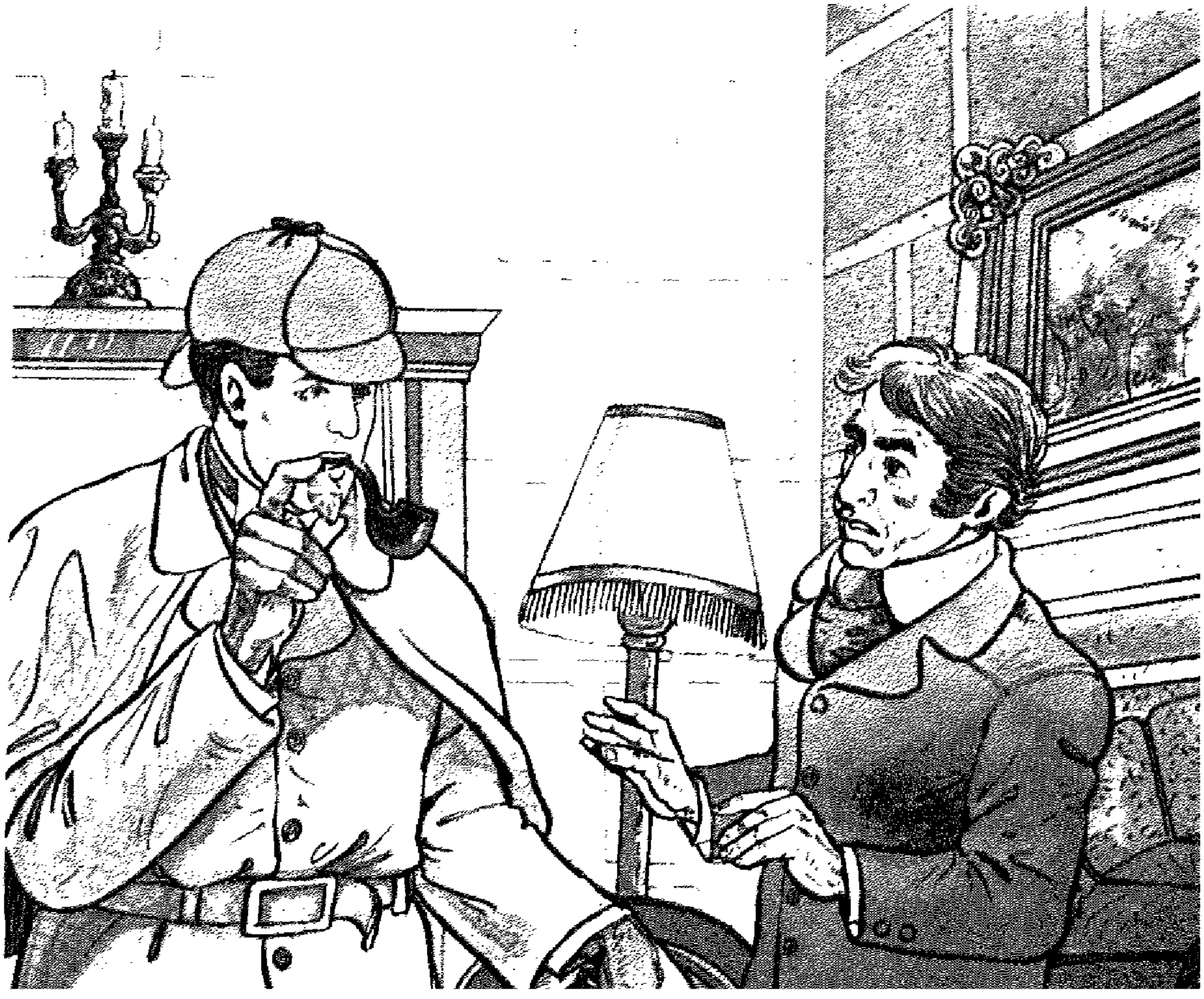

المقْعدِ الَّذي أشار إلَيْهِ هُولْمز . كانَ وَجْهُهُ شاحِبًا ، وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ الذُّعْرُ الشَّديدُ .

قالَ هُولْمز : « إنَّني أعْرِفُ وَقائعَ القَضيَّةِ جَميعَها تَقْريباً ، لَكِنْ بِوُدّي أنْ أعْرِفَ القِصَّةَ كامِلَةً . مَنْ الَّذي أخْبَرَكَ بِمَكانِ الماسَةِ الزَّرْقاءِ ؟»

قالَ الرَّجُلُ : « أخْبَرَتْني بِهِ كاثرين كوساك ، وَهِيَ تَعْمَلُ لِحِسابِ اللّيدي مورْكار .»

قالَ هُولْمز : « هَذا واضِحٌ . لَقَدْ أخْبَرَتْكَ بِمَكانِ الماسَةِ . وَأنْتَ رَجُلٌ فَقيرٌ ، وَتُريدُ أنْ تُصْبِحَ غَنِيًّا ؟ لِذا أقْدَمْتَ عَلى سَرِقَةِ الماسَةِ وَأنْتَ تَعْلَمُ أنَّ جون هورنر صاحِبُ سابِقَةٍ ، وَسَرَقَ نُقوداً مِنَ حُجْرَةِ في الفُنْدُقِ ؛ لِذا قَرَّرْتَ لَفْتَ الأنْظارِ إلَيْهِ ؛ فَكَسَرْتَ المِنْضَدَةَ في حُجْرَةِ اللّيدي مورْكار . وَلَمّا كانَ إصْلاحُ الأشْياءِ مِنْ ضِمْنِ أعْمالِهِ في الفُنْدُقِ ، فَقَدْ رَأيْتَ اصْطِحابَهُ إلى حُجْرَةِ اللّيدي مورْكار، وَقَدْ أصْلَحَ المِنْضَدَةَ وَمَضى . وَلَما كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ الماسَةَ في العُلْبَةِ ، فَقَدْ فَتَحْتَها وَسَرَقْتَ الماسَةَ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتَ إلى الشُّرْطَةِ وَاتَّهَمْتَ هورنر فَضْلاً عَنْ أنَّكَ ...»

وَعِنْدَئِذٍ جَثا رايدر صائِحاً : « أرْجوكَ ، يا سَيِّدي ! فَكِّرْ بِأُمّي

وَأبي . إنَّ هَذا سَوْفَ يُحطِّمُ قَلْبَيْهِما . إنَّني لَمْ أسْرِقْ أيَّ شَيْءٍ مِنْ قَبْلُ ، وَرَجائي أنْ لا تُخْبِرَ الشُّرْطَةَ .»

قالَ هُولمز : « عُدْ إلى مَكانِكَ . لَقَدْ فاتَ أوانُ ذَلِكَ . إنَّ سَرِقَةَ الماسَةِ قَدْ تَمَّتْ ، وَقَدْ وُجِّهَتْ التُّهْمَةُ إلى جون هورنر . إنَّ ما فَعَلْتَهُ لَفَظيعٌ حَقًّا ! يَجِبُ أنْ أُنْقِذَ جون هورنر ؛ وَلِكَيْ أفْعَلَ ذَلِكَ لا بُدَّ مِنْ أنْ أخْبِرَ الشُّرْطَةَ عَنْكَ .»

قالَ رايدر : « سأغادِرُ البِلادَ في الحالِ بِلا رَجْعَةٍ ، وَلَكَ أنْ تُخْبِرَ الشُّرْطَةَ بَعْدَ ذَلِكَ .»

قالَ هُولمز : « رُبَّما أفْعَلُ ذَلِكَ إذا رَوَيْتَ لِيَ القِصَّةَ كامِلَةً .»

قالَ رايدر : « لَنْ أخْفِيَ عَنْكَ شَيْئًا . لَقَدْ سَرَقْتُ الماسَةَ ، وَاتَّهَمْتُ جون هورْنر بِسَرِقَتِها ، فَاقْتادَتْهُ الشُّرْطَةُ إلى القِسْمِ ، ثُمَّ راحوا يُفَتِّشونَ حُجُراتِ الفُنْدُقِ جَميعاً . وَغادَرْتُ الفُنْدُقَ وَذَهَبْتُ إلى بَيْتِ أخْتي في طَريقِ بريكستون ، وَهِيَ مُتَزَوِّجَةٌ مِنْ رَجُلٍ يُدْعى أوكشوت ، وَيَقومانِ بِتَرْبِيَةِ الدَّجاجِ . وَكانَ الخَوْفُ بادِيًا عَلَيَّ ، الأمْرُ الَّذي لَفَتَ انْتِباهَ أخْتي ، فَتَعَلَّلْتُ لَها بِأنَّني مُرْهَقٌ وَظَمْآنُ . وَعِنْدَما ذَهَبَتْ لِتَجْهيزَ الشّاي ذَهَبْتُ أنا إلى ما وَراءِ البَيْتِ حَيْثُ مَكانُ الدَّجاجِ ، فَقَدْ كانَ عَلَيَّ أنْ أخْفِيَ الماسَةَ . لَكِنْ أيْنَ ؟ ثُمَّ

رَأَيْتُ الدَّجاجَ ؛ فَخَطَرَتْ لي فِكْرَةٌ .

« كانَتْ أُخْتي قَدْ وَعَدَتْ بِأَنْ تُعْطِيَني دَجاجَةً ، وَكانَتْ إِحْداها مُرَقَّطَةً ، فَأَمْسَكْتُ بِها ، وَفَتَحْتُ مِنْقارَها ، وَدَفَعْتُ بِالماسَةِ إِلى جَوْفِها . صارَتِ الماسَةُ في بَطْنِ الدَّجاجَةِ ، فَأَصْدَرَتْ صِياحًا عالِيًا أَدّى إِلى خُروجِ أُخْتي مِنَ المَنْزِلِ لِتَحَرّي ما يَجْري . وَعِنْدَما اسْتَدَرْتُ لأَتَحَدَّثَ إِلَيْها هَرَبَتِ الدَّجاجَةُ وَانْضَمَّتْ إِلى بَقِيَّةِ الدَّجاجِ ، وَلَمّا سَأَلَتْني أُخْتي عَمّا كُنْتُ أَفْعَلُ أَجَبْتُها : « لَقَدْ وَعَدْتِ أَنْ تُعْطيني دَجاجَةً وَأَنا أَنْتَقي الآنَ واحِدَةً .» سَأَلَتْ : « أَيَّةَ دَجاجَةٍ تُريدُ ؟»

« قُلْتُ : « تِلْكَ .» وَأَشَرْتُ إِلى الدَّجاجَةِ المُرَقَّطَةِ . فَقالَتْ : « خَيْرًا . سَوْفَ أَذْبَحُها وَتَسْتَطيعُ أَخْذَها مَعَكَ .»

« قُلْتُ في نَفْسي : « أَعْرِفُ رَجُلاً في كيلبيرن سَيَتَوَلّى عَنّي بَيْعَ الماسَةِ .» وَ وَصَلْتُ إِلى بَيْتِهِ وَمَعي الدَّجاجَةُ ، فَشَقَقْنا بَطْنَها مَعًا ، لَكِنَّنا لَمْ نَرَ أَيَّ أَثَرٍ لِلماسَةِ داخِلَها . لَقَدِ ارْتَكَبْتُ خَطَأً فادِحًا ، انْدَفَعْتُ بَعْدَها عائِدًا إِلى بَيْتِ أُخْتي لأَكْتَشِفَ أَنَّ الدَّجاجَ جَميعًا قَدِ اخْتَفى .

« صِحْتُ : « أَيْنَ الدَّجاجُ ؟»

« قالَتْ أُخْتي : « أَرْسَلْتُهُ إِلى السّوقِ .»

« سَأَلْتُ : «« لِمَنْ أَرْسَلْتِهِ ؟» أجابَتْ : « إلى السَّيِّدِ بِريكِنْريدْج في سوقِ حَديقَةِ كوثنت .»

« سَأَلْتُ : «« هَلْ كانَتْ بِحَوْزَتِكِ دَجاجَةٌ مُرَقَّطَةٌ غَيْرَ الَّتي أعْطَيْتِنيها ؟»

« قالَتْ : «« أجَلْ ، كانَتْ لَدَيَّ اثْنَتانِ ، وَقَدْ أخَذْتَ أنْتَ واحِدَةً مِنهما .»

وَذَهَبْتُ في الحالِ إلى سوقِ حَديقَةِ كوثنت ، وَقابَلْتُ السَّيِّدَ بِريكِنْريدْج ، وَعَلِمْتُ مِنْهُ أنَّهُ قَدْ باعَ الدَّجاجَ جَميعَهُ . سَأَلْتُهُ عَمَّن اشْتَراها ، فَرَفَضَ إخْباري . وَعُدْتُ إلَيْهِ مَرّاتٍ وَمَرّاتٍ ، لَكِنّي كُنْتُ أُلْقى لَدَيْهِ الرَّدَّ ذاتَهُ .»

وَراحَ رايدر يَذْرِفُ دَمْعًا غَزيراً ، وَيَقولُ : « لِيَكُنِ اللّهُ في عَوْني ! لَقَدْ انْتَهى أمْري ! إنَّ هَذا قاتِلَ والِدَيَّ لا مَحالَةَ .»

وَتَوَجَّهَ هُولْمز إلى بابِ الحُجْرَةِ وَفَتَحَهُ ، وَقالَ لِلرَّجُلِ : « اخْرُجْ في الحالِ .»

قالَ رايدر غَيْرَ مُصَدِّقٍ : « ماذا ؟ إنَّني جِدُّ مُمْتَنٍّ لَكَ يا سَيِّدي.»

قالَ هُولْمز : « لا تَزِدْ عَلى ما قُلْتَ ، وَانْصَرِفْ .» وَانْدَفَع رايدر خارِجًا مِنَ الغُرْفَةِ ، وَهَبَطَ الدَّرَجَ ثُمَّ هُرِعَ خارِجًا مِنَ المَنْزِلِ .

قالَ هُولمْز : « أنا عَلى أيَّةِ حالٍ لَسْتُ شُرْطِيًّا ، يا واطْسُن . إنَّ رايدر سَيُغادِرُ البِلادَ ، وَلَنْ يَكونَ لَدى رِجالِ الشُّرْطَةِ دَليلٌ ضِدَّ هورْنر في غِيابِ رايدر ، وَسَيَتَوَجَّبُ عَلَيْهِمْ إطْلاقُ سَراحِ هورنر . عَليَّ أنْ أخْبِرَ الشُّرْطَةَ الآنَ . لَقَدْ تَلَقّى رايدر دَرْسًا لَنْ يَنْساهُ . لَقَدْ أصيبَ بِذُعْرٍ شَديدٍ ، أمّا أنا فَقَدْ أمْتَعَتْني هَذِهِ القِصَّةُ أيَّما إمْتاعٍ ! دَعْنا ، يا واطْسُن ، نَسْتَمْتِعْ بِعَشائِنا الآنَ ، وَلَنْ يَكونَ سِوى دَجاجَةٍ !»

فضيحَة في بوهيمْيا

لَمْ يَحْدُثْ أنْ هُزِمَ شِرْلوك هُولمْز إلّا مَرَّةً وَحيدَةً ، وَكانَتْ أمامَ امْرَأةٍ تُدْعى أيْرين أدْلَر – تِلْكَ المَرْأةُ الّتي لَمْ يَنْسَها شِرْلوك هُولمْز طيلَةَ حَياتِهِ .

مَضَتْ أسابيعُ لَمْ أرَ خِلالَها هُولمْز ، فَقَدِ انْتَقَلْتُ بَعْدَ زَواجي إلى حَيٍّ آخَرَ مِنْ أحْياءِ لَنْدن . أمّا هولمْز فَقَدْ ظَلَّ في بَيْتِنا الكائِنِ في شارِعِ بيكر . وَلَمْ أقُمْ بِزِيارَتِهِ كَثيراً ؛ لأنَّني كُنْتُ طَبيباً مَشْغولاً بِعَمَلي إلى حَدٍّ كَبيرٍ .

وَذاتَ لَيْلَةٍ مِنْ لَيالي مارِس (آذار) عامَ ١٨٨٨ ، كُنْتُ في طَريقي إلى بَيْتي ، وَكانَ عَلَيَّ أنْ أعودَ مَريضَةً تُقيمُ في شارِع بيكر . وَعِنْدَما مَرَرْتُ بِبَيْتي القَديمِ صَعَّدْتُ فيهِ عَيْنَيَّ ، وَكانَتْ غُرْفَةُ هولمْز مُضاءَةً ؛ فاسْتَطَعْتُ أنْ أراهُ بِوضوحٍ : كانتْ يَداهُ وَراءَ ظَهْرِهِ وَكانَ

مُطْرِقًا رَأسَهُ ، وَبَدا عَلَيْهِ أنَّهُ يُفكِّرُ بِمُشْكِلَةٍ جَديدَةٍ . لَمْ تهزِمْ هُولْمز مُشْكِلَةٌ قَطُّ . وَتَساءَلْتُ ما عَساها تَكونُ تِلْكَ المُشْكِلَةُ الَّتي تَشْغَلُهُ ، فَقَرَّرْتُ أنْ أزورَهُ لأسْتَطْلِعَ الأمْرَ .

كانَ هُولْمز يَقِفُ إلى جانِبِ المِدْفَأةِ ، سابِحًا في تَفْكيرٍ عَميقٍ ، لِدَرَجَةِ أنَّهُ لَمْ يُعَلِّقْ بِشَيْءٍ عِنْدَما دَخَلْتُ عَلَيْهِ الغُرْفَةَ ، وَاكْتَفى بِأنْ أشارَ إلى كُرْسِيٍّ لأجْلِسَ عَلَيْهِ . كانَتْ هَذِهِ عادَةَ هُولْمز عِنْدَما يُفَكِّرُ بِمُشْكِلَةٍ ما . وَرَغْمَ ذَلِكَ فَإنِّي أعْتَقِدُ أنَّهُ سُرَّ حينَ رآني .

وَأخَذَ هُولْمز قُصاصَةَ وَرَقٍ وَقالَ : « انْظُرْ إلى هَذِهِ ، يا واطْسُن . ما رَأيُكَ فيها ؟»

تَناوَلْتُ الوَرَقَةَ ، وَكانَتْ لا تَحْمِلُ عُنْوانًا أوْ تاريخًا أوْ إمْضاءً . كانَتْ مُدَوَّنًا بِها الآتي : « سَوْفَ يَزورُكَ رَجُلٌ في الثّامِنَةِ إلّا رُبْعًا هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، لا تُفاجَأ إذا رَأيْتَهُ مُقَنَّعًا ؛ فَهُوَ لا يَنْوي أنْ يُنَبِّئَكَ بِاسْمِهِ الحَقيقِيِّ . إنَّهُ يَحْتاجُ إلى مَشورَتِكَ في أمْرٍ ذي أهَمِّيَّةٍ قُصْوى . يَجِبُ أنْ يَبْقى ذَلِكَ سِرًّا .»

سَأَلْتُ : « ماذا يَعْني هَذا ، يا هولْمز ؟»

قالَ وَهُوَ يُطِلُّ مِنَ النّافِذَةِ إلى الشّارِعِ : « سَوْفَ نَتَبَيَّنُ الأمْرَ في الحالِ . لَقَدْ تَوَقَّفَتْ عَرَبَةٌ لِتَوِّها عِنْدَ بابِنا . إنَّها عَرَبَةٌ فَخْمَةٌ ، وَيَبْدو

أنَّ زائِرَنا رَجُلٌ ذو مَكانَةٍ خاصَّةٍ .»

وَما هِيَ إلّا لَحَظاتٌ حَتّى سَمِعْنا طَرْقًا عَلى البابِ ، فَصاحَ هُولْمز : « ادْخُلْ .» وَكانَ الرَّجُلُ الَّذي دَخَلَ عَلَيْنا طَويلَ القامَةِ ، مُقَنَّعًا ، وَبَدَتْ ثِيابُهُ غَريبَةً .

سَألَ الزّائِرُ هُولْمز : « هَلْ تَسَلَّمْتَ رِسالَتي إلَيْكَ ؟»

أجابَ هولْمز : « أجَلْ ، وَتَفَضَّلْ بِالجُلوسِ . هَذا صَديقي الدُّكْتورُ واطْسُن . لَمْ تَكُنْ رِسالَتُكَ مُوَقَّعَةً . هَلْ تَتَكَرَّمُ بِأنْ تُخْبِرَني بِاسْمِكَ ؟»

أجابَ الرَّجُلُ : « بِاسْتِطاعَتِكَ أنْ تَدْعُوَني الكونْت فون كرام . إنَّني مِنْ بوهيمْيا ، وَلَقَدْ جِئْتُ طَلَبًا لِمَشورَتِكَ . يَنْبَغي ألا يَعْلَمَ أحَدٌ بِأمْرِ هَذِهِ الزِّيارَةِ . إنَّها رَغْبَةُ مَلِكٍ . هَلْ أسْتَطيعُ التَّحدُّثَ بِحُرِّيَّةٍ أمامَ صَديقِكَ ؟»

قالَ هولْمز : « بِالتَّأكيدِ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ ، تَسْتَطيعُ التَّحَدُّثَ بِحُرِّيَّةٍ . إنَّ الدُّكْتورَ واطْسُن كَثيراً ما يُعاوِنُني .»

قَفَزَ الرَّجُلُ عَنْ كُرْسِيِّهِ وأماطَ القِناعَ عَنْ وَجْهِهِ وَهُوَ يَقولُ : « إنَّكَ عَلى حَقٍّ تَماماً ؛ فَأنا مَلِكُ بوهيمْيا . لَكِنْ كَيفَ عَرَفْتَ ؟»

قالَ هُولْمز : « الأمْرُ غايَةٌ في البَساطَةِ . إنَّ لَكَ عَرَبَةً فَخْمَةً ذاتَ

حِصانَيْن ِمُدْهِشَيْن ِ. إنَّكَ رَجُلٌ موسِرٌ . وَلا بُدَّ إذًا أنَّكَ رَجُلٌ ذو مَكانَةٍ خاصَّةٍ .»

« لَكِنَّ ذَلِكَ لا يُفسِّرُ ما عَرَفْتَ .»

تابَعَ هُولْمز قائِلاً : « لَقَدْ جِئْتَ طَلَبًا لِمَشورَتي . وَتَقولُ إنَّ أمْرَ زِيارَتِكَ يَنْبَغي أنْ يَظَلَّ سِرًّا ، وَإنَّ ذَلِكِ رغبةُ مَلِكٍ .»

« رَغْمَ ذَلِكَ فَأنا لا أسْتَطيعُ أنْ أفْهَمَ كَيْفَ عَرَفْتَ .»

« إنَّكَ مِنْ بوهيمْيا . وَلَقَدْ قَرَأتُ في الصُّحُفِ أنَّ مَلِكَ بوهيمْيا مَوْجودٌ الآنَ في لَندن ؛ إذًا فأنتَ المَلِكُ . قُلْ لي مِنْ فَضْلِكَ كَيْفَ أسْتَطيعُ مُساعَدَتَكَ .»

وَاسْتَهَلَّ المَلِكُ حَديثَهُ قائِلاً : « إلَيْكَ الوَقائِعَ : مُنْذُ خَمْسَةِ أعْوام تَقْريبًا الْتَقَيْتُ وَسَيِّدَةً تُدْعى أيْرين أدْلَر . لَعَلَّكَ سَمِعْتَ بِها ؟»

قالَ هُولْمز : « سَوْفَ أرجِعُ إلى مُدَوَّناتي .» ثُمَّ مَضى إلى صُنْدوقٍ بِهِ بِطاقاتٌ كَثيرَةٌ تَحْمِلُ مَعْلوماتٍ عَنْ مِئاتٍ مِنَ النّاس . وَما هِيَ إلّا لَحَظاتٌ حَتّى أخْرَجَ بِطاقَةً مُدَوَّنًا بِها : أيْرين أدْلَر . وُلِدَتْ في نيوجيرسي عامَ ١٨٥٨ . مُغَنِّيَةٌ ، وَقَدْ مارَسَتِ الغِناءَ في مَدينَتَيْ « لاسْكالا وَ وارْسو » . تَعيشُ الآنَ في لَنْدن .» ثُمَّ الْتَفَتَ إلى المَلِكِ قائِلاً : « مُنْذُ خَمْسِ سِنينَ كانَتْ أيْرين أدْلَر تَعيشُ في

وارْسو . هَلْ قابَلْتَها هُناكَ ؟»

قالَ المَلِكُ : « أجَلْ .»

« إنَّكَ وَقَعْتَ في الحُبِّ وَكَتَبْتَ إلَيْها بَعْضَ الرَّسائِلِ . وَأنْتَ تُريدُها أنْ تُعيدَ الرَّسائِلَ .»

« نَعَمْ . لَكِنْ كَيْفَ ؟»

« هَلْ تَزَوَّجْتَها سِرًّا ؟»

« لا .»

« هَلْ وَقَّعْتَ لَها عَلى أيَّةِ أوْراقٍ قانونِيَّةٍ ؟»

« لا .»

« إذًا لَيْسَتْ ثَمَّةَ مُشْكِلَةٌ .»

« لَكِنْ ماذا بِشَأنِ الرَّسائِلِ ؟»

« تَسْتَطيعُ أنْ تُنْكِرَ أنَّكَ كَتَبْتَها .»

قالَ المَلِكُ : « إنَّ لَدَيْها صورَةً فوتوغرافِيَّةً .»

« لَعَلَّها اشْتَرَتْها .»

« لَكِنَّها مَعي في الصّورَةِ .»

قالَ هولمز : « نَحْنُ الآنَ أمامَ أمرٍ مُخْتَلِفٍ تَماماً . عَلَيْكَ أنْ تُغْرِيَها بِالمالِ فَتَبيعَكَ الصّورةَ .»

« عَرَضْتُ عَلَيْها لَكِنَّها تَرْفُضُ البَيْعَ .»

« اسْرِقْها إذاً .»

« لَقَدْ دَفَعْتُ لِرِجالٍ مَرَّتَيْنِ مِنْ أجْلِ سَرِقَتِها ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْثُروا عَلى الصّورَةِ في بَيْتِها .»

قَالَ هُولمز ضاحِكاً : « إنَّ لَدَيْنا مُشْكِلَةً حَقًّا . ماذا تَنوي السَّيِّدَةُ أنْ تَفْعَلَ بِالصّورَةِ ؟»

« إنَّ لِمَلِكِ اسكانديناقيا ابْنَةً أرْغَبُ في الزَّواج بِها . وَسَوْفَ تَسْتَخْدِمُ أيْرين أدْلَر الصّورَةَ لِمَنْعِ هَذا الزَّواجِ .»

قالَ هولمز : « سَبَقَ لي أنْ سَمِعْتُ أنَّكُما موشِكانِ عَلى الزَّواج ، فَكَيْفَ تَسْتَطيعُ أيْرينْ أدْلَر مَنْعَكُما ؟»

« سَوْفَ تُرْسِلُ الصّورَةَ إلى مَلِكِ اسكانديناقيا . وَهُوَ رَجُلٌ يَخافُ الفَضائِحَ ، وَبِذا تَمْنَعُ زَواجَنا .»

« وَلِماذا لا تُريدُك أيْرين أدْلَر أنْ تَتَزَوَّجَ الأميرَةَ ؟»

« إنَّهُ السَّبَبَ المألوفُ ؛ فَهِيَ لا تَزالُ تُحِبُّني ، وَتُريدُني زَوْجاً

لَها .»

« هَلْ أَنْتَ عَلى ثِقَةٍ بِأَنَّها لَمْ تُرْسِلِ الصّورَةَ بَعْدُ ؟»

« أجَلْ . إنّني عَلى ثِقَةٍ .»

« لِمَ ؟»

« إنَّها تَنْتَظِرُ حَتّى يُعْلَنَ تاريخُ زَواجي في الصُّحُفِ ؛ وَذَلِكَ سَيَكونُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ القادِمِ . حينَئِذٍ سَوْفَ تُرْسِلُ الصّورَةَ إلى المَلِكِ .»

« هَذا يَعْني أنَّ لَدَيْنا ثَلاثَة أيّامٍ عَلى الأكْثَرِ . هَلْ سَتَبْقى في لَنْدَن خِلالَ هَذِهِ الفَتْرَةِ ؟»

قالَ المَلِكُ : « بِالطَّبْعِ . وَسَأَنْزِلُ في فُنْدُقِ لانغهام .»

« إذاً سَأكْتُبُ إلَيْكَ . سَتَكونُ لَدَيَّ في الحالِ أخْبارَ أنْقُلُها إلَيْكَ . بَقِيَ أنْ نَبْحَثَ مَوْضوعَ الأتْعابِ .»

« تَسْتَطيعُ أنْ تَذكُرَ المَبْلَغَ الّذي تَشاءُ . إنّني عَلى اسْتِعْدادٍ لِلتَّضْحِيَةِ بِأيِّ شَيْءٍ لِقاءَ الحُصولِ عَلى الصّورَةِ .»

قالَ هُولْمز : « أرى أنّني سَأحْتاجُ مُؤَقَّتاً إلى بَعْضِ النُّقودِ ؛ إذْ عَلَيَّ أنْ أدْفَعَ مُقابِلَ عَوْنٍ ما .»

أخْرَجَ المَلِكُ رِزْمَةً مِنَ الأوْراقِ النَّقْدِيَّةِ مِنْ جَيْبِهِ ، وَدَفَعَ بِها إلى

هُولمز ، وَقالَ : « إلَيْكَ أَلْفَ جُنَيْهٍ . آمُلُ أنْ يَفِي ذَلِكَ بِالغَرَضِ .»

تَناوَلَ هُولمز الرُّزْمَةَ وَسَأَلَهُ قائِلاً : « ما عُنْوانُ السَّيِّدَةِ ؟»

« برايوني لودْج ، طَريقُ سِرْبِنْتاين — غابَةُ القِدّيس يوحنا .»

دَوَّنَ هُولمز العُنْوانَ ، ثُمَّ قالَ : « سُؤالٌ أخيرٌ . ما حَجْمُ الصّورة؟»

قالَ المَلِكُ : « إنَّها كَبيرَةٌ جِدًّا . حَوالى ثَلاثينَ في عِشْرينَ سَنْتيمِتْراً .»

صافحَهُ هُولمز قائِلاً : « طابَتْ لَيْلَتُكَ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ . سَتَكونُ لَدَيَّ عَنْ قَريبٍ أخْبارٌ أنْقُلُها إلَيْكَ .» ثُمَّ أضافَ قائِلاً وَالمَلِكُ يُغادِرُ البَيْتَ : « وَطابَتْ لَيْلَتُكَ ، يا واطْسُنْ . هَلْ ستَأتي لِزِيارَتي غَداً في الثّالِثَةِ مِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ ؟ أرْجو أنْ أحْظى بمُعاوَنَتِكَ .»

ذَهَبْتُ بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ التّالي إلى شارِعِ بيكر في المَوْعِدِ المُحدَّدِ . لَمْ يَكُنْ هُولمز قَدْ عادَ إلى البَيْتِ بَعْدُ . وَتَبَيَّنَ لي أنَّه غادَرَ البَيْتَ في الثّامِنَةِ مِنْ صَباحِ اليَوْمِ ، وَانْتَظَرْتُهُ . كانَتْ دَقّاتُ السّاعَةِ تُعْلِنُ الرّابِعَةَ عِنْدَما فُتِحَ البابُ . كانَ الدّاخِلُ يَرْتَدي مَلابِسَ حوذِيٍّ . كانَ شَعْرُهُ مُسْتَرْسِلاً ، وَ وَجْهُهُ أحْمَرَ . لَقَدْ كانَ هُولمز نَفْسَهُ . لَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ ، بَلْ تَوَجَّهَ إلى غُرْفَةِ نَوْمِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ خَمْسِ دَقائِقَ ، وَقَدْ غَسَلَ وَجْهَهُ وَارْتَدى ثِيابَهُ المُعْتادَةَ .

جَلَسَ قُرْبَ المَوْقِدِ ، وَهُوَ يُقَهْقِهُ ، ثُمَّ قالَ : « حَسَنٌ ، يا واطْسُن، ماذا تَظُنُّني كُنْتُ أَفْعَلُ اليَوْمَ ؟»

« دَعْني أُفَكِّرْ . كُنْتَ تُراقِبُ أَيْرين أدْلَر .»

« لَقَد أَصَبْتَ كَبِدَ الحَقيقَةِ . لَقَدْ غادَرْتُ البَيْتَ في السّاعَةِ الثّامِنَةِ صَباحَ اليَوْمِ مُرْتَدِيًا مَلابِسَ حوذِيٍّ . وسَرْعانَ ما عَثَرْتُ على برايوني لودج . إنَّهُ بَيْتٌ ريفيٌّ ذو حَديقَةٍ خَلْفِيَّةٍ . وَتُطِلُّ مُقَدِّمَتُهُ عَلى الطَّريقِ مُباشَرَةً . هُناكَ بَعْضُ البَناياتِ عَلى طَريقٍ جانِبَ البَيْتِ ، تُحْفَظُ فيها العَرَباتُ وَالخَيْلُ . وَقابَلْتُ حُوذِيًّا هُناكَ فَأَخْبَرَني بِكُلِّ

شَيْءٍ عَنْ أيرين أدْلر .»

سَأَلْتُهُ : « بِمَ أخْبَرَكَ ؟»

« أخْبَرَني بِأنَّها غايَةٌ في الجَمالِ . تَعيشُ عيشَةً هادِئَةً ، وَتُغَنّي في الحَفَلاتِ . تَقودُ سَيّارَتَها خارِجَةً بِها كُلَّ يَوْمٍ في الخامِسَةِ مَساءً ، وَتَعودُ دائِماً لِتَناوُلِ العَشاءِ في السّابِعَةِ . وَلا يَزورُها إلّا رَجُلٌ واحِدٌ أسْمَرُ البَشَرَةِ وَسيمُ الطَّلْعَةِ ، يُدْعى غودْفري نورْتون ، وَيَعْمَلُ مُحامِياً .»

قُلْتُ : « لَقَدْ أمْضَيْتَ حَقًّا يَوْماً مَشْحوناً بِالعَمَلِ .»

تابَعَ هُولْمز قائِلاً : « هَذا لَيْسَ كُلَّ شَيْءٍ . يَبْدو أنَّ غودْفري هَذا ذو أهَمِّيَّةٍ بالِغَةٍ ، فَهُوَ بِحُكْمِ عَمَلِهِ مُحامِياً يَزورُ أيرين أدْلر كُلَّ يَوْمٍ . وَمَنْ يَدْري ؟ فَقَدْ يَكونُ مُحامِيَها ، وَقَدْ يَكونُ صَديقَها ، وَرُبَّما يَكونُ عاشِقاً لَها . فَإذا كانَ مُجَرَّدَ مُحامٍ لَها ، فَرُبَّما تَكونُ قَدْ أعْطَتْهُ الصّورَةَ . أمّا إذا كانَ حَبيبَها فَبِالطَّبْعِ لَنْ تَكونَ راغِبَةً في إظْهارِ الصّورَةِ أمامَهُ . وَإذا كانَ الأمْرُ كَذَلِكَ ، فَإنَّ الصّورَةَ لا بُدَّ أنْ تَكونَ في مَنْزِلِها . وَبَيْنَما كُنْتُ هُناكَ ، إذْ وَصَلَتْ عَرَبَةٌ إلى برايوني لودج ، وَقَفَزَ رَجُلٌ مِنْها . كانَ أسْمَرَ البَشَرَةِ ، وَسيمَ الطَّلْعَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ سِوى نورْتون ، وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ أنَّهُ في عَجَلَةٍ مِنْ أمْرِهِ ، حَيْثُ طَلَبَ مِنْ سائِقِ العَرَبَةِ أنْ يَنْتَظِرَهُ ، وَاندَفَعَ داخِلَ البَيْتِ .

« مَكَثَ هُناكَ قُرابَةَ نِصْفِ السّاعَةِ ، وَكانَ بِإمْكاني أنْ أراهُ مِنْ خِلالِ نافِذَةِ غُرْفَةِ الجُلوسِ . وَبَدا واضِحَ الاضْطِرابِ ، وَلَمْ أتَمَكَّنْ مِنْ رُؤيَةِ السَّيِّدَةِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ البَيْتِ مُتَّجِهاً ناحِيَةَ العَرَبَةِ ، وَكانَ يَنْظُرُ إلى ساعَةِ يَدِهِ ، ثُمَّ هَتَفَ بِالسّائِقِ : « خُذْني إلى شارِعِ ريجنت لأشْتَرِيَ خاتَماً ، ثُمَّ عُدْ بي إلى طَريق إدجْوير ، وَسَوْفَ أُنْفَحُكَ جُنَيْهاً إنْ أوْصَلْتَني في ثُلُثِ ساعَةٍ .»

« وَسارَتِ العَرَبَةُ . وَبَعْدَها جاءَتْ عَرَبَةُ أيرين أدْلَر إلى مُقَدِّمَةِ البَيْتِ ، وَخَرَجَتْ أيرين أدْلَر وَرَكِبَتْها صائِحَةً : « إلى طَريق إدْجوير ، يا جون .»

« وَقَرَّرْتُ أنْ أتْبَعَ العَرَبَةَ . وَمَرَّتْ في الشّارِعِ عَرَبَةُ أجْرَةٍ فَقَفَزْتُ فيها ، وَأوْصَلَتْني إلى طَريق إدْجوير ، فَرَأيْتُ أيرين أدْلَر وغودْفري نورْتون وَأحَدَ رِجالِ الدّينِ يَقِفونَ أمامَ فيلّا أنيقَةٍ . وَنَظَرُوا إليَّ عِنْدَما هَبَطْتُ مِنَ العَرَبَةِ . وَأسْرَعَ نورْتون نَحْوي قائِلاً بِصَوْتٍ جَهيرٍ : « تَعالَ مَعي . لا بُدَّ لَنا مِنْ شاهِدٍ . لَنْ يَسْتَغْرِقَ الأمْرُ سِوى بَضْعِ دَقائِقَ . لَنْ يَكونَ الزَّواجُ قانونِيًّا ما لَمْ يَكُنْ لَدَيْنا شاهِدٌ .» ثُمَّ اقْتادَني إلى داخِلِ الفيلّا ، وَهُناكَ صِرْتُ شاهِداً عَلى زَواجِ أيرين أدْلَر وَغودفري نورْتون .

« وَانْتَهى الأمْرُ سَريعاً ، وَشَكَرَ الرَّجُلُ لي شَهادَتي ، وَنَفَحَتْني

السَّيِّدةُ جُنَيْهاً ، عَلى حينَ ابْتَسَمَ رَجُلُ الدّينِ .

« وَعِنْدَما أُفَكِّرُ فيما حَدَتَ أَجِدُ نَفْسي مُنْطَلِقاً في الضَّحِكِ ، وَذَلِكَ يُفَسِّرُ ضَحِكي الآنَ . لَقَدْ رَفَضَ رَجُلُ الدّينِ تَزْويجَهُما دونَ شاهِدٍ ؛ فَكانَ شرلوك هُولمز شاهِدَهُما .»

قُلْتُ : « إذاً فَهُما الآنَ زَوْجانِ . لَقَدْ بَدا أَنَّهُما في عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِما . تُرى ما سَبَبُ ذَلِكَ ؟»

قالَ هُولمز : « ما أَظُنُّ أَيْرين أَدْلَر إلّا خائِفَةً مِنْ شَيْءٍ ما . لَقَدْ جَرَتْ مُحاوَلَتانِ لِسَرِقَةِ الصّورَةِ مِنْها ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّها قَرَّرَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ نورْتون وَتُغادِرَ إنْجِلْتِرا .»

سَأَلْتُهُ : « أَ تَعْتَقِدُ أَنَّ المَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يُفَكِّرَ في ضَرَرِها ؟»

قالَ هُولمز : « لَسْتُ أَدْري . لَكِنَّها تَبْدو خائِفَةً مِنْهُ .»

سَأَلْتُهُ : « ماذا فَعَلْتَ بَعْدَ مُغادَرَةِ الفيلّا ؟»

قالَ هُولمز : « لَقَدْ خُيِّلَ إلَيَّ أَنَّهُما سَيُغادِرانِ لندن في الحالِ ، لَكِنَّني دَهِشْتُ عِنْدَما سَمِعْتُ السَّيِّدَةَ تَقولُ لِنورْتون : « سَوْفَ أَتَوَجَّهُ بِعَرَبَتي إلى المَنْتَزَهِ في الخامِسَةِ كالعادَةِ .» ثُمَّ غادرا في عَرَبَتَيْن مُنْفَصِلَتَيْن . عَلَيَّ أَنْ أَتَحَرَّكَ الآنَ بِسُرْعَةٍ ، يا واطْسُن ، فَهَلْ

تُساعِدُني ؟»

قُلْتُ : « طَبْعاً ! ماذا تُريدُني أنْ أفْعَلَ ؟»

قالَ هُولْمز : « السّاعَةُ الآنَ الخامِسَةُ . يَجِبُ أنْ نَكونَ في برايوني لودج في غُضونِ ساعَتَيْنِ . إنَّ السَيِّدَةَ تَعودُ مِنْ نُزْهَتِها في السّابِعَةِ ، وَيَجِبُ أنْ نَكونَ هُناكَ لِلقائِها .»

« ثُمَّ ماذا ؟»

« سَوْفَ يَحْدُثُ ما يُدْهِشُكَ . لَكِنْ لا يَنْبَغي أنْ تَفْعَلَ شَيْئاً مِنْ جَرّاءِ نَفْسِكَ . هَلْ هَذا واضِحٌ ؟ بَعْدَ أرْبَعٍ أوْ خَمْسِ دَقائِقَ سَوْفَ تُفْتَحُ نافِذَةُ غُرْفَةِ الجُلوسِ ، وَستَكونُ أنْتَ واقِفاً إلى جانِبِ تِلْكَ النّافِذَةِ .»

« ثُمَّ ماذا ؟»

« عَلَيْكَ أنْ تُراقِبَني جَيِّداً . سَوْفَ تَكونُ قادِراً عَلى مُراقَبَتي . أرْيدُكَ ، عِنْدَما أرْفَعُ يَدي ، أنْ تَرْمِيَ شَيْئاً في الغُرْفَةِ ، ثُمَّ تَصْرُخَ : « حَريقٌ ! حَريقٌ !»

سَأَلْتُهُ : « أ هَذا كُلُّ ما عَلَيَّ أنْ أفْعَلَهُ ؟»

قالَ هُولْمز : « أجَلْ ، سَوْفَ تُلْقي هَذِهِ في الغُرْفَةِ .»

كانَ الشَيْءُ الّذي قَدَّمَهُ هُولمز إليّ مَصْنوعاً مِنَ المَعْدِنِ ، بِطولِ ١٥ سَنْتيمِتْراً تَقْريباً .

« إنّها قُنْبَلَةُ دُخانٍ .»

صِحْتُ : « قُنْبَلَةُ دُخانٍ ! أ هِيَ خَطِرَةٌ ؟»

قالَ هولمز : « لا ، عَلى الإطْلاقِ . كُلُّ ما هُنالِكَ أنّها تُحْدِثُ دُخاناً كَثيفاً . وَعِنْدَما تُلْقيها وَتَصيحُ ، اذْهَبْ إلى نِهايَةِ الشّارِع وانْتَظِرْ قُدومي إلَيْكَ .»

دَخَلَ هُولمز إلى حُجْرَةِ نَوْمِهِ ، وَعِنْدَما عادَ كانَ يَرْتَدي مَلابِسَ رِجالِ الدّينِ .

كانَتِ السّاعَةُ السّادِسَةَ والرُّبْعَ حينَ غادَرْنا شارِعَ بيكر . وَ وَصَلْنا طَريقَ سِرْبِنْتاين في السّابِعَةِ إلّا عَشْرَ دَقائِقَ . وَكانَ اللّيْلُ قَدْ بَدَأ يُرْخي سُدولَهُ فَيُخْفي مَعالِمَ الأشْياءِ ، وَ وَقَفْنا نَنْتَظِرُ قُرْبَ برايوني لودج . وَأَدْهَشَني أنْ أرى هُناكَ الكَثيرَ مِنَ النّاسِ . وَكانَ بَعْضُهُمْ يَقِفُ إلى جانِبِ البَيْتِ . وَكانَ ثَمَّةَ جُنْدِيّانِ يَتَحَدّثانِ إلى فَتاةٍ ، وَعَدَدٌ مِنَ الرِّجالِ يَقِفونَ عَلى ناصِيَةِ الشّارِعِ .

وَفي تَمام السّابِعَةِ ، وَصَلَتْ عَرَبَةٌ أُجْرَة أدْلَر ، وَتَوَجَّهَتْ إلى برايوني لودْج . وَبَيْنَما العَرَبَةُ تَتَوَقَّفُ انْدَفَعَ رَجُلٌ نَحْوَها ، وَكانَ

موشِكاً عَلى فَتْحِ بابِها ، لَوْلا أنْ تَقَدَّمَ نَحْوَهُ جُنْدِيٌّ وَدَفَعَهُ بَعيداً عَنْها . وَنَشِبَ بَيْنَهُما قِتالٌ ، وَجاءَ الجُنْدِيُّ الآخَرُ ثُمَّ الرِّجالُ الآخَرونَ . وَ وَجَدَتْ أَيْرين أدْلَر نَفْسَها وَسْطَ حَشْدٍ مِنَ الرِّجالِ المُتَناحِرينَ ، وَانْدَفَعَ هُولْمز نَحْوَ الحَشْدِ لِيُساعِدَها ، وَما إنْ وَصَلَ إلَيْها، حَتّى نَدَّتْ عَنْهُ صَيْحَةُ أَلَمٍ فَظيعَةٌ وَارْتَمى عَلى الأَرْضِ وَالدَّمُ يَنْزِفُ مِنْ وَجْهِهِ . وَتَوَقَّفَ الشِّجارُ ، وَجَرى المُتَشاجِرونَ في الشّارِعِ ، وَتَقَدَّمَ الرِّجالُ الَّذينَ كانوا عَلى النّاصِيَةِ لِمُساعَدَةِ هُولْمز .

صاحَتْ أَيْرين أدْلَر : « كَيْفَ حالُ الرَّجُلِ ؟»

قالَ أَحَدُهُمْ : « لَقَدْ ماتَ !»

قالَ آخَرُ : « لا ، إنَّهُ لَمْ يَمُتْ ، وَلَكِنَّهُ يُحْتَضَرُ .»

قالَتِ الفَتاةُ الَّتي كانَتْ تَتَحَدَّثُ إلى الجُنْدِيَّيْنِ : « حَقًّا إنَّهُ لَرَجُلٌ شُجاعٌ ! لَقَدْ كادوا يَسْرِقونَ حَقيبَةَ السَّيِّدَةِ ، وَلَكِنَّهُ تَصَدّى لَهُمْ . يا إلَهي ! إنَّهُ يَتَنَفَّسُ . يَنْبَغي ألا يَظَلَّ مُمَدَّداً هَكَذا في الطَّريقِ .» ثُمَّ تَطَلَّعَتِ الفَتاةُ بِبَصَرِها إلى أَيْرين أدْلَر ، وَقالَتْ : « أ لا يُمْكِنُنا أنْ نُدْخِلَهُ إلى البَيْتِ ؟»

أجابَتْ أَيْرين أدْلَر : « بَلى بِالطَّبْعِ . أدخِلوهُ حُجْرَةَ الجُلوسِ .»

وَبِحِرْصٍ شَديدٍ حُمِلَ رَجُلُ الدّينِ العَجوزُ إلى برايوني لودج ، ثُمَّ

إلى غُرْفَةِ الجُلوسِ . وَتَوَجَّهْتُ أنا نَحْوَ النّافِذَةِ ، لأرى هُولْمز ، وَكانَ مُمَدَّداً في كُرْسِيٍّ . وَتَذَكَّرْتُ أوامِرَهُ لي ، فَأَخْرَجْتُ قُنْبُلَةَ الدُّخانِ مِنْ جَيْبي . وَاعْتَدَلَ هُولْمز وَأشارَ إلى النّافِذَةِ ، فَهُرِعَتِ السَّيِّدَةُ إلى النّافِذَةِ وَفَتَحَتْها ، ثُمَّ رَفَعَ ذِراعَهُ فَأَلْقَيْتُ أنا بِقُنْبُلَةِ الدُّخانِ داخِلَ الغُرْفَةِ وَصَرَخْتُ : « حَريقٌ !»

وَفي الحالِ صاحَ الرِّجالُ المُحْتَشِدونَ : « حَريقٌ !» وَتَوَجَّهْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إلى نِهايَةِ الشّارِعِ انْتِظاراً لِقُدومِ هُولْمز . وَما هِيَ إلّا عَشْرُ دَقائِقَ حَتّى وَصَلَ ، فَانْطَلَقْنا في اتِّجاهِ شارِعِ بيكر .

قالَ وَنَحْنُ في الطَّريقِ : « لَقَدْ أَحْسَنْتَ صُنْعاً ، يا واطْسُن . لَقَدْ كانَتِ النَّتيجَةُ مُذْهِلَةً حَقًّا .»

« هَلْ حَصَلْتَ عَلى الصّورَةِ ؟»

« عَرَفْتُ مَكانَها .»

« كَيْفَ اهْتَدَيْتَ إلَيْها ؟»

« هِيَ الَّتي دَلَّتْني .»

« وَضِّحْ ، يا هُولْمز ، أَرْجوكَ !»

قالَ ضاحِكًا : « كانَ الأمْرُ غايَةً في اليُسْرِ . لَقَدْ دَفَعْتُ لِهَؤلاءِ

النّاسِ جَميعاً لِيَكونوا في عَوْني .»

قُلْتُ : « لَقَدْ كانَ هَذا ظَنّي .»

قالَ : « عِنْدَما نَشِبَ الشِّجارُ ، انْدَفَعْتُ مُتَقَدِّماً وَسْطَ المَعْمَعَةِ ثُمَّ سَقَطْتُ عَلى الأَرْضِ . وَكانَ عَلى يَدي طِلاءٌ أَحْمَرُ ، فَرَفَعْتُها إِلى وَجْهي فَبَدا الطِّلاءُ الأَحْمَرُ وَكَأَنَّهُ دَمٌ .»

قُلْتُ : « بِالطَّبْعِ .»

أَضافَ : « ثُمَّ حَمَلوني إِلى داخِلِ البَيْتِ . وَكانَ عَلَيْها أَنْ تَسْمَحَ لَهُمْ بِإِدْخالي البَيْتَ . وَداخِلَ حُجْرَةِ جُلوسِها ، كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الصّورَةَ إِمّا أَنْ تَكونَ فيها وَإِمّا في حُجْرَةِ نَوْمِها . وَفي غُرْفَةِ الجُلوسِ أَراحوني في كُرْسِيٍّ ، ثُمَّ أَشَرْتُ إِلى النّافِذَةِ فَفُتِحَتْ ، وَأُتيحَتْ لَكَ فُرْصَةَ إِلْقاءِ قُنْبُلَةِ الدُّخانِ .»

قُلْتُ : « وَكَيْفَ أَعانَكَ ذَلِكَ ؟»

قالَ هُولْمز : « كانَ ذَلِكَ في غايَةِ الأَهَمِّيَّةِ . ماذا تَفْعَلُ امْرَأَةٌ في حالِ نُشوبِ حَريقٍ في مَنْزِلِها ؟ إِنَّها تَنْدَفِعُ لإِنْقاذِ أَثْمَنِ ما لَدَيْها . وَما أَثْمَنُ شَيْءٍ لَدى سَيِّدَتِنا ؟ إِنَّها الصّورَةُ ، قَطْعاً . خُيِّلَ إِلَيْها أَنَّ حَريقاً شَبَّ في المَنْزِلِ ؛ لِذا انْدَفَعَتْ في الحالِ لإِنْقاذِ الصّورَةِ . وَكانَتْ مُخَبَّأَةً وَراءَ لَوْحَةٍ عَلى الجِدارِ فَتَوَجَّهَتْ نَحْوَها مُباشَرَةً . لَقَدْ

رَأَيْتُها وَهِيَ تُخْرِجُها . فَصَرَخْتُ أَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ حَريقٌ ؛ فَأَعادَتْها إلى مَكانِها ثانِيَةً . وَنَظَرَتْ إلى قُنْبُلَةِ الدُّخانِ وَانْدَفَعَتْ خارِجَةً مِنَ الغُرْفَةِ ، وَلَمْ أَرَها مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ . وَكُنْتُ موشِكاً عَلى الْتِقاطِ الصّورَةِ ، لَكِنَّ حوذِيَّها دَخَلَ عَليَّ الغُرْفَةَ ، فَآثَرْتُ إرْجاءَ العَمَلِ إلى وَقْتٍ يَكونُ أَكْثَرَ أماناً .»

قُلْتُ مُتَسائِلاً : « وَماذا بَعْدُ ؟»

قالَ هُولْمز : « سَوْفَ نَزورُ السَّيِّدَةَ غَداً ، وَسَأَطْلُبُ إلى المَلِكِ أَنْ يأتِي مَعَنا . وَسَوْفَ نَدْخُلُ إلى حُجْرَةِ الجُلوسِ لِنَنْتَظِرَها ، لَكِنْ عِنْدَما تَأتي لَنْ نَكونَ مَوْجودينَ . سَيَتَمَكَّنُ المَلِكُ مِنَ الاسْتِيلاءِ عَلى الصّورَةِ بِنَفْسِهِ .»

قُلْتُ : « مَتى سَتَذْهَبُ ؟»

أجابَ هُولْمز : « في الثّامِنَةِ صَباحاً حَيْثُ سَتَكونُ في فِراشِها ، وَسَيَكونُ مِنَ اليَسيرِ أَخْذُ الصّورَةِ . وَالآنَ لا بُدَّ لي مِنْ إرْسالِ رِسالَةٍ عاجِلَةٍ إلى المَلِكِ .»

كُنّا قَدْ وَصَلْنا إلى شارِعِ بيكر ، وَ وَقَفْنا أمامَ مَنْزِلِ هُولْمز ، عِنْدَما حَيّانا أَحَدُ المارَّةِ قائِلاً : « طابَتْ لَيْلَتُكَ ، يا سَيِّدُ شِرْلوك هُولْمز .» وَكانَ الشّارِعُ في ذَلِكَ الوَقْتِ مُزْدَحِماً بِالنّاسِ ، وَبَدا الشَّخْصُ الّذي

حَيّانا شابًّا في مُقْتَبَلِ العُمْرِ ، وَقَدْ كانَ مُسْرِعًا في طَرِيقِهِ .

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ سَمِعْتُ ذَلِكَ الصَّوْتَ مِنْ قَبْلُ ، وَأنا أَتَساءَلُ الآنَ مَنْ عَساهُ يَكونُ ؟»

قَضَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ هُولْمز . وَفي الصَّباحِ كُنّا نَتَناوَلُ إفْطارَنا حينَما انْدَفَعَ مَلِكُ بوهيمْيا مُقْتَحِماً الغُرْفَةَ وَهُوَ يَصيحُ : « هَلْ حَصَلْتَ عَلى الصّورَةِ حَقًّا ؟»

قالَ هُولْمز : « لَيْسَ بَعْدُ .»

قالَ المَلِكُ : « وَلَكِنَّكَ وَعَدْتَ بِأنْ تَحْصُلَ عَلَيْها .»

أجابَ هُولْمز : « إنَّني آمُلُ ذَلِكَ .»

قالَ المَلِكُ : « هَيّا بِنا إذاً . عَرَبَتي في الانْتِظارِ .» وَما هِيَ إلّا دَقائِقُ حَتّى كُنّا في طَرِيقِنا إلى برايوني لودج .

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ تَزَوَّجَتْ أيْرين أدْلَر .»

سَألَ المَلِكُ دَهِشاً : « تَزَوَّجَتْ ! مَتى ؟»

أجابَ هُولْمز : « أمْسِ .»

سَألَ المَلِكُ : « وَلَكِنْ مَنِ الزَّوْجُ ؟»

أجابَ هُولْمز : « مُحامٍ يُدْعى نورتون .»

قالَ المَلِكُ : « لَكِنَّها لا تُحِبُّهُ !»

قالَ هُولْمز : « آمُلُ أنْ تُحِبَّهُ .»

قالَ المَلِكُ : « وَلِمَ ؟»

قالَ هُولْمز : « لأنَ زَواجَكَ لَنْ يَكونَ مُهَدَّداً ؛ فَحُبُّها لِنورْتون يَعْني أنَّها لا تُحِبُّكَ ، وَإذا كانَتْ لا تُحِبُّكَ فَهَذا يَعْني بِدَوْرِهِ أنَّها لَنْ تُحاوِلَ مَنْعَ زَواجِكَ .»

قالَ المَلِكُ : « هَذا صَحيحٌ .»

وَانْفَتَحَ بابُ برايوني لودج ، وَ وَقَفَتْ سَيِّدَةٌ عَجوزٌ عَلى الدَّرَجِ ، وَسَأَلَتْ : « السَّيِّدُ شِرْلوك هُولْمز ؟»

قالَ صاحِبي : « نَعَمْ ، إنَّني هُولْمز .»

قالَتِ العَجوزُ : « لَقَدْ أنبَأَتْني السَّيِّدةُ نورتون بِأنَّكَ سَوْفَ تَأتي لِزِيارَتِها ، وَلَكِنَّها رَحَلَتْ هَذا الصَّباحَ مَعَ زَوْجِها إلى فَرَنْسا .»

صاحَ هُولْمز : « ماذا ؟ هَلْ غادَرَتِ البِلادَ ؟»

قالَتِ السَّيِّدَةُ بِهُدوءٍ : « وَلَنْ تَعودَ .»

صاحَ المَلِكُ : « وَالصّورَةُ ؟ هَلْ أخَذَتْها ؟»

قالَ هُولْمز : « سَوْفَ نَرى .» وَانْدَفَعَ مُتَخَطِّيًا المَرْأةَ العَجوزَ إلى

حُجْرَةِ الجُلوسِ ، وَتَبِعَهُ المَلِكُ وَتَبِعْتُهُ أنا أيْضاً . وَتَوَجَّهَ هُولْمز إلى لَوْحَةٍ قُرْبَ البابِ وَأدارَها . كانَتْ عَلى ظَهْرِها صورَةٌ وَرِسالَةٌ مُثَبَّتَتَيْنِ . كانَتِ الصّورَةُ لأيْرين أدْلَر في رِداءِ المَساءِ . وَكانَتْ عَلى الرِّسالَةِ هَذِهِ الكَلِماتُ « إلى السَّيِّدِ شِرْلوك هُولْمز » . وَفَضَّ صاحِبي الرِّسالَةَ وَقَرَأنا مَعاً :

« عَزيزي السَّيِّدَ هُولْمز ،

« كُنْتَ غايَةً في الذَّكاءِ ؛ إذِ اكْتَشَفْتَ مَكانَ الصّورَةِ . لَمْ أدْرِ إلّا بَعْدَ أنْ رَأيْتُ قُنْبُلَةَ الدُّخانِ . أنْبأني أحَدُهُمْ بِأنَّ المَلِكَ سَوْفَ يَطْلُبُ مَشورَتَكَ . وَقَدْ تَفَضَّلوا بِإعْطائي عُنْوانَكَ . لَكِنَّني لَمْ أعْلَمْ أنَّ رَجُلَ الدّينِ العَجوزَ لَمْ يَكُنْ سِوى أنْتَ ، يا سَيِّدُ هُولْمز . وَعِنْدَما غادَرْتُ غُرْفَةَ الجُلوسِ أرْسَلْتُ الحوذِيَّ لِمُراقَبَتِكَ ، ثُمَّ تَنَكَّرْتُ في زيِّ رَجُلٍ وَتَبِعْتُكَ إلى شارِعِ بيكر . كانَ عَلَيَّ أنْ أتَيَقَّنَ مِنْ حَقيقَتِكَ . لَقَدْ كُنْتُ أنا ذَلِكَ الشّابَّ الّذي ألْقى عَلَيْكَ بِتَحِيَّةِ المَساءِ وَتَوَجَّهْتُ بَعْدَها لِلِقاءِ زَوْجي .

« وَقَرَّرْنا أنْ نُغادِرَ إنْجِلْترا عَلى الفَوْرِ ، فَنَحْنُ لا نُريدُ أنْ نَدْخُلَ في نِزاعٍ مَعَكَ ، يا سَيِّدُ هُولْمز . فَلَوْ فَعَلْنا فَنَحْنُ نَعْلَمُ أنَّكَ لا بُدَّ مُنْتَصِرٌ عَلَيْنا في النِّهايَةِ . لَيْسَ بالمَلِكِ حاجَةٌ إلى الخَوْفِ بِشَأنِ الصّورَةِ ؛ فَلَنْ أفْعَلَ شَيْئاً يَمْنَعُ زَواجَهُ . إنَّني الآنَ أحِبُّ رَجُلاً أفْضَلَ مِنْهُ . لَقَدْ

كانَ المَلِكُ قاسِياً مَعي . إنَّني خائِفَةٌ مِنْهُ ؛ لِذا سَأحْتَفِظُ بِالصّورَةِ ؛ لأنَّهُ لَنْ يَجْرُؤ عَلى إيذائي ما دامَتْ هِيَ لَدَيَّ . إنَّني أتْرُكُ لَهُ صورَةً أخْرى لَعَلَّهُ يَرْغَبُ في الاحْتِفاظِ بِها . أمّا أنا فَسَوْفَ أظَلُّ أيُّها العَزيزُ شِرْلوك هُولْز ، مُخْلِصَةً لَكَ .»

« أيرين أدْلَر »

صاحَ مَلِكُ بوهيمْيا : « يا لَها مِنَ امْرَأةٍ ! يا لَها مِنَ امْرَأةٍ ! لَوْ أنَّني تَزَوجْتُها لَكانَتْ مَلِكَةً صالِحَةً . لَكِنَّ الفارِقَ بَيْنَنا كَبيرٌ .»

قالَ هُولْز بِبُرودٍ : « أجَلْ يَبْدو أنَّ الفارِقَ بَيْنَكُما كَبيرٌ جِدًّا ، وَيُؤسِفُني أنَّنا لَمْ نَسْتَطِعِ الحُصولَ عَلى الصّورَةِ .»

صاحَ المَلِكُ : « عَزيزي السَّيِّدَ هُولْز ، لَمْ يَعُدْ ذَلِكَ مُهِما الآنَ . لَقَدْ وَعَدَتْ بِذَلِكَ ، وَهِيَ تَفي بِوُعودِها دائِماً . إنَّ زَواجي بِالأميرَةِ في أمانٍ .»

قالَ هُولْز : « يَسُرُّني أنْ أسْمَعَكَ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ ، تَقولُ هَذا الكَلامَ .»

قالَ المَلِكُ : « كَيْفَ يُمْكِنُني أنْ أشْكُرَكَ ، يا سَيِّدُ هُولْز ؟ هَلْ تَأخُذُ هَذا الخاتَمَ ؟ إنَّهُ ثَمينٌ جِدًّا .»

قالَ هُولْز : « إنَّ لَدَيْكَ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ ، شَيْئاً أثْمَنَ

بِالنِّسْبَةِ لي مِنَ الخاتَمِ .»

قالَ المَلِكُ : « اذْكُرْهُ مِنْ فَضْلِكَ .»

وَرَفَعَ هُولْمز صورَةَ أيرين أدْلَر في رِداءِ المَساءِ ، وَقالَ : « هَذِهِ الصّورَةُ .»

بَدا المَلِكُ دَهِشًا ، وَصاحَ قائِلاً : « صورَةُ أيرين ! تَسْتَطيعُ أخْذَها بِالتَّأكيدِ ؛ إنْ كُنْتَ تَرْغَبُها .»

قالَ هُولْمز : « أشْكُرُكَ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ . أعْتَقِدُ الآنَ أنَّهُ لَمْ يَعُدْ لَدَيْنا ما نَفْعَلُهُ . أسْتَطيعُ الآنَ أنْ أوَدِّعَكَ مُتَمَنِّيًا لَكَ صَباحًا سَعيدًا .» وَاسْتَدارَ هُولْمز ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَرَ يَدَ المَلِكِ مَمْدودَةً لِمُصافَحَتِهِ ، وَغَدَوْتُ أنا مَعَ هُولْمز إلى شارِعِ بيكر .

وَهَكَذا نَجا مَلِكُ بوهيميا مِنْ فَضيحَةٍ أوْشَكَتْ أنْ تَمَسَّهُ . وَهَكَذا اسْتَطاعَتِ امْرَأَةٌ أنْ تَهْزِمَ شِرْلوك هُولْمز .

سِرُّ وادي بوزْكوم

ذاتَ صَباحٍ كُنْتُ أَتناوَلُ طَعامَ الإفْطارِ مَعَ زَوْجَتي حينَ دُقَّ جَرَسُ البابِ ، وَتَلَقَّيْتُ بَرْقِيَّةً مِنْ شِرْلوك هُولْمز يَقولُ فيها :

« هَلْ أَنْتَ غَيْرُ مَشْغولٍ مُدَّةَ يَوْمَيْنِ ؟ لَقَدْ تَلَقَّيْتُ لِتَوّي رِسالَةً مِنْ غَرْبِ إنْجِلْتِرا . سَأَبْدَأُ العَمَلَ في قَضِيَّةِ وادي بوزْكوم ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعي ؟ سَيُغادِرُ القِطارُ مَحَطَّةَ پادينغتون في الحادِيَةَ عَشْرَةَ وَالرُّبْعِ .»

سَأَلَتْني زَوْجَتي : « هَلْ سَتَذْهَبُ ، يا عَزيزي ؟»

« لا أَدْري . إنَّني كَما تَرَيْنَ مَشْغولٌ تَماماً في الوَقْتِ الحاضِرِ .»

« سَيَقومُ الدُّكْتور آنِسْتروذَر بِعَمَلِكَ . إنَّكَ تَبْدو مُرْهَقاً ، وَبَعْضُ التَّرْويحِ سَوْفَ يُفيدُكَ .»

« سَوْفَ أَذْهَبُ ، وَعَلَيَّ أَنْ أَحْزِمَ أَمْتِعَتي في الحالِ ؛ فَالقِطارُ

سَيُغادِرُ المَحطَّةَ خِلالَ نِصْفِ السّاعَةِ .»

بَعْدَ عَشْرينَ دَقيقَةً ، وَصَلْتُ پادينغتون . وَكانَ هُولْمز في انْتِظاري ، فَبادَرَني قائِلاً : « يَسُرُّني أَنَّكَ اسْتَطَعْتَ المَجيءَ يا واطْسُنْ. إِنّي سَأَحْتاجُ إلى مُساعَدَتِكَ .»

وَصَعِدْنا القِطارَ . وَكانَ هُولْمز قَدْ أَحْضَرَ مَعَهُ بَعْضَ الصُّحُفِ ، فَشَرَعَ في قِراءَتِها وَتَدْوينِ بَعْضِ المُلاحَظاتِ ثُمَّ قالَ فَجْأَةً : « هَلْ طالَعْتَ شَيْئًا عَنْ قَضِيَّةِ وادي بوزْكوم ، يا واطسُنْ ؟»

« لا . كُنْتُ أوشِكُ أَنْ أَقْرَأَ عَنْها حينَ وَصَلَتْ بَرْقِيَّتُكَ .»

« صُحُفُ لنْدن مَلأى بِالأَخْبارِ عَنِ هَذِهِ القَضِيَّةِ . لَقَدْ فَرَغْتُ لِتَوّي مِنْ قِراءَتِها جَميعاً . إِنَّها واحِدَةٌ مِنْ تِلْكَ القَضايا الَّتي في ظاهِرِها يَسيرَةٌ ، وَهِيَ في الحَقيقَةِ في غايَةِ التَّعْقيدِ .»

قُلْتُ : « أَوْضِحْ مِنْ فَضْلِكَ ، يا هُولْمز ، كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ قَضِيَّةٌ يَسيرَةً وَصَعْبَةً في آنٍ واحِدٍ ؟»

« تَرى الشُّرْطَةُ أَنَّ هَذِهِ القَضِيَّةَ يَسيرَةٌ . قُتِلَ رَجُلٌ وَيَقولُونَ إِنَّهُ قُتِلَ بِيَدِ ابْنِهِ .»

« وَهَلْ قَتَلَهُ ابْنُهُ فِعْلاً ؟»

« لا أدْري . مِنْ أجْلِ ذَلِكَ نَحْنُ ذاهِبونَ الآنَ إلى وادي بوزْكوم . سَوْفَ أجِدُ الجَوابَ هُناكَ . إنَّها مَنْطِقَةٌ ريفِيَّةٌ ، بِها بَعْضُ القُرى وَالمَزارِعِ . وَأكْثَرُ المَزارِعِ اتِّساعاً مِلْكٌ لِرَجُل يُدْعى جون تيرنَر . إنَّهُ رَجُلٌ غَنِيٌّ ، وَقَدْ جَمَعَ ثَرْوَتَهُ في أسْتراليا ، وَعادَ إلى إنْجِلْتِرا مُنْذُ بِضْعِ سِنينَ .

« وَكانَ لِلسَّيِّدِ تيرنَرْ صَديقٌ يُدْعى تشارْلِز ماكارثي ، تَعَرَّفَ إلَيْهِ في أسْتراليا . وَعاشَ السَّيِّدُ ماكارثي في إحْدى مَزارِعِ السَّيِّدِ تيرنَرْ . وَكانَ ما يَمْلِكُهُ مِنَ المالِ أقَلَّ مِمّا يَمْلِكُهُ السَّيِّدُ تيرنر ، لَكِنَّ الرَّجُلَيْنِ ، كما بَدا ، كانا صَديقَيْنِ حَميمَيْنِ ، وَكَثيراً ما شوهِدا مَعاً .

« وَكانَ لماكارثي ابْنٌ في الثّامِنَةَ عَشْرَةَ ، وَكانَ لِتيرنَر ابْنَةٌ في السِّنِ ذاتِها ، لَكِنَّهما كانا أرْمَلَيْنِ .

« وَيَبْدو أنَّ الأسْرَتَيْنِ كانَتا تَعيشانِ عيشَةً هادِئَةً تَماماً . وَعاشَ تيرنَر في بَيْتٍ فَسيحٍ ، وَكانَتْ تَعْمَلُ عِنْدَهُ أرْبَعُ نِساءٍ وَرَجُلانِ عَلى حين كانَ بَيْتُ ماكارثي أقَلَّ اتِّساعاً وَأناقَةً ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْمَلُ عِنْدَهُ إلّا خادِمَةٌ واحِدَةٌ . وَهَذا كُلُّ ما أعْرِفُهُ عَنِ الأسْرَتَيْنِ ، وَسَوْفَ أخْبِرُكَ الآنَ عَنِ القَضِيَّةِ :

« يَوْمَ الاثْنَيْنِ الماضي ذَهَبَ السَّيِّدُ ماكارثي إلى القَرْيَةِ ، ثُمَّ عادَ

في السّاعَةِ الثّانِيَةِ ، وَرَغِبَ في وَجْبَةِ طَعامٍ ، فَأَبْطَأَتِ الخادِمَةُ في إعْدادِها ، فَطَلَبَ إلَيْها الإسْراعَ في إعْدادِها ؛ لأَنَّهُ عَلى مَوْعِدٍ مُهِمٍّ في السّاعَةِ الثّالِثَةِ . وَغادَرَ المَنْزِلَ قَبْلَ الثّالِثَةِ بِقَليلٍ .

« وَكانَ قَدْ أَخْبَرَ الخادِمَةَ أَنَّهُ ذاهِبٌ إلى بُحَيْرَةِ بوزْكوم ، لَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَعُدْ قَطُّ .

« وَتَبْعُدُ بُحَيْرَةُ بوزْكوم مَسيرَةَ عَشْرِ دَقائِقَ عَنْ مَنْزِلِ السَّيِّدِ ماكارثي ، وَقَدْ رَآهُ اثْنانِ ، أَحَدُهُما امْرَأَةٌ عَجوزٌ ، وَهُوَ يَتَّجِهُ نَحْوَ البُحَيْرَةِ ، وَكانَ الآخَرُ رَجُلاً يُدعى وِلْيَم كراوْدَر ، وَيَعْمَلُ عِنْدَ السَّيِّدِ تيرنَر . وَقَدْ أَكَّدَ الرَّجُلُ وَالمَرْأَةُ كِلاهُما أَنَّهُما شاهَدا السَّيِّدَ ماكارْثي بِمُفْرَدِهِ .

« وَشاهَدَ السَّيِّدُ كراوْدَر أَيْضاً ابْنَ السَّيِّدِ ماكارْثي ، وَكانَ يَتْبَعُ أَباهُ مُتَأَبِّطاً بُنْدُقِيَّةً . في تِلْكَ الأَمْسِيَّةِ سَمِعَ كراوْدَر أَنَّ السَّيِّدَ ماكارْثي قَدْ قُتِلَ .

« كَذَلِكَ شاهَدَتْ فَتاةٌ في الرّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِها تُدعى بيشَنْس موران وَتَقْطُنُ قُرْبَ البُحَيْرَةِ ، السَّيِّدَ ماكارْثي وَابْنَهُ أَيْضاً . وَكانَ ثَمَّةَ صَرْخَةٌ قُرْبَ البُحَيْرَةِ . وَكانَتْ بيشَنْس موران تَقومُ بِقَطْفِ بَعْضِ الأَزْهارِ مِنْها . وَعِنْدَما وَصَلَتْ إلى البُحَيْرَةِ رأَتِ السَّيِّدَ

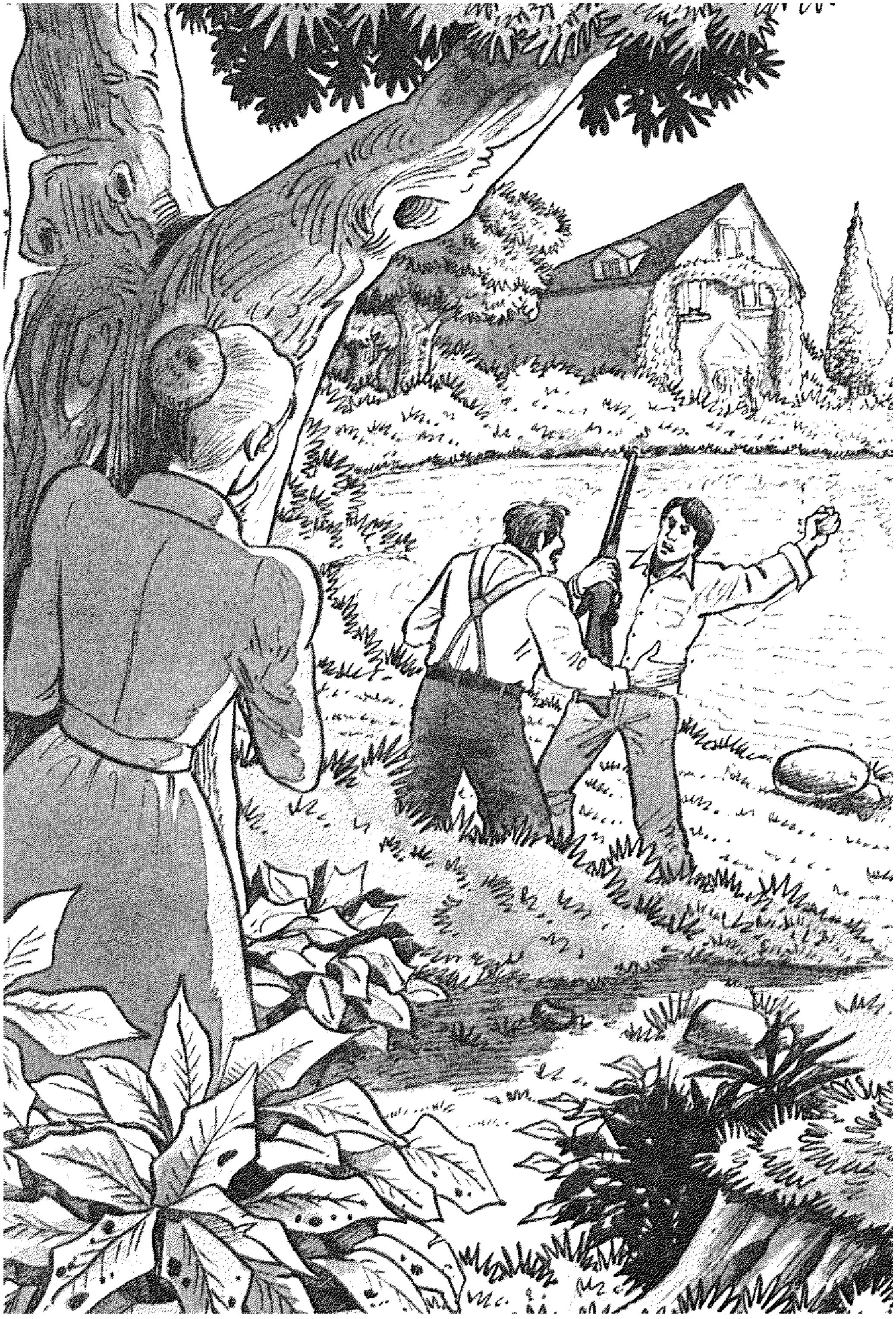

ماكارْثي وَابْنَهُ، وَكانا يَتَشاجَرانِ ، وَسَمِعَت الوالِدَ وَهُوَ يَصْرُخُ في وَجْهِ ابْنِهِ وَرَأَتْ الابْنَ وَهُوَ يَرْفَعُ يَدَهُ في الهَواءِ ؛ فَخُيِّلَ إِلَيْها أَنَّهُ سَيَضْرِبُ أباهُ . وَشَعَرَتْ بِالخَوْفِ ، فَهُرِعَتْ إلى بَيْتِها ، وَأَخْبَرَتْ والِدَيْها بِما رَأَتْ .

« وَصَلَ ماكارْثي الابْنُ بَعْدَ ذَلِكَ في التَّوِّ إلى مَنْزِلِ الفَتاةِ ، وَقالَ إِنَّ أباهُ قَدْ قُتِلَ ، وَقَدْ وَجَدَهُ مُلْقًى بِالقُرْبِ مِنَ البُحَيْرَةِ . وَلَمْ تَكُنْ بُنْدُقِيَّةُ الصَّبِيِّ وَقُبَّعَتُهُ مَعَهُ ، وَكانَ ثَمَّةَ بُقَعُ دَمٍ عَلى قَميصِهِ .

« ذَهَبَ السَّيِّدُ موران والِدُ الفَتاةِ مَعَ الفَتى إلى البُحَيْرَةِ وَكانَتْ جُثَّةُ السَّيِّدِ ماكارْثي راقِدَةً هُناكَ عَلى العُشْبِ . وَكانَ واضحًا أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ ضُرِبَ عَلى رَأْسِهِ ، وَكانَتْ بُنْدُقِيَّةُ الفَتى وَقُبَّعَتُهُ قُرْبَ الجُثَّةِ . وَتَوَجهَتِ الشُّرْطَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إلى مَنْزِلِ ماكارْثي الابْنِ ، وَأَلْقَتِ القَبْضَ عَلَيْهِ بِتُهْمَةِ قَتْلِ والِدِهِ .»

سَأَلْتُ : « وَهَلْ تَظُنُّ ذَلِكَ أَنْتَ أَيْضًا ، يا هُولْمز ؟»

« لَسْتُ مُتَأَكِّدًا ، لَكِنَّ ذَلِكَ مُمْكِنٌ . إِنَّ الوَقائِعَ جَميعًا تُشيرُ بِإِصْبَعِ الاتِّهامِ إلى الفَتَى ماكارْثي . لَكِنَّ ثَمَّةَ مَنْ لا يَرى هَذا الرَّأْيَ ؛ فَها هِيَ ذي ابْنَةُ السَّيِّدِ تيرنَر تُبْرِقُ إِلَيَّ تُريدُني أَنْ أُساعِدَ الفَتى .»

قُلْتُ : « سَيَكونُ الأمْرُ صَعْبًا ، يا هُولْمز . إنَّ الوَقائِعَ جَميعاً ضِدُّ الفَتى . ماذا قالَ لِرِجالِ الشُّرْطَةِ ؟»

« وَصَلَتِ الشُّرطَةُ إلى مَكانِ الحادِثِ بَعْدَ ساعَتَيْن مِنْ مَقْتَل السَّيِّدِ ماكارْثي . وكانَ ابْنُهُ قَدْ انْصَرَفَ إلى البَيْتِ ، فَتَوَجَّهوا إلى بَيْتِهِ وَعِنْدَما طَلَبوا إلَيْهِ أنْ يَصْحَبَهُمْ إلى قِسْمِ الشُّرْطَةِ ، رَدَّ بِأنَّهُ غَيْرُ دَهِشٍ مِنْ هَذا الطَّلَبِ .»

« أ لأنَّهُ قَتَلَ والِدَهُ حَقًّا ؟»

قالَ هُولْمز : « لا ، لَقَدْ أنْكَرَ وَقْتَها أنَّهُ قَتَلَ والِدَهُ .»

« هَلْ كانَ كاذِبًا ؟»

« لا ، أظُنُّ أنَّهُ كانَ صادِقًا . لَقَدْ عَلِمَ أنَّ الوَقائِعَ كانَتْ جَميعاً ضِدَّهُ ؛ لِذا لَمْ يَدْهَشْ عِنْدَما جاءَتِ الشُّرْطَةُ تَسْتَدْعيهِ .»

« ما قِصَّةُ الفَتى ؟»

« إنَّها هُنا في هَذِهِ الصَّحيفَةِ .»

أخَذْتُ الصَّحيفَةَ وَقَرَأتُ التَّقْريرَ التّالِيَ :

« قالَ السَّيِّدُ جيمس ماكارْثي ابْنُ القَتيلِ :

« كُنْتُ في بريسْتول لِثَلاثَةِ أيّامٍ ، وَقَدْ عُدْتُ إلى مَنْزِلي بَعْدَ ظُهْرِ

الاثْنَيْنِ الماضي . لَمْ يَكُنْ أبي في البَيْتِ . كانَتْ خادِمَتُنا مَوْجودَةً ، فَسَأَلْتُها عَنْهُ ، فَقالَتْ لَقَدْ غادَرَ البَيْتِ مُنْذُ قَليلٍ .

« أَخَذْتُ بُنْدُقِيَّتي وَقَرَّرْتُ أَنْ أَقُومَ بِنُزْهَةٍ عَلى قَدَمَيَّ ، فَأَنا أُصْطَحِبُ بُنْدُقِيَّتي مَعي أَيْنَما ذَهَبْتُ ؛ لأَنَّ الرِّمايَةَ هِيَ رِياضَتي المُفَضَّلَةُ .

« وَبَيْنَما أَسيرُ بِإِتِّجاهِ بُحَيْرَةِ بوزْكوم ، مَرَرْتُ بِمَنْزِلِ وِلْيَم كراوْدر وَقَدْ رَآني ؛ فَشَهِدَ لِرِجالِ الشُّرْطَةِ بِأَنَّني كُنْتُ أَتْبَعَ والِدي ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ صَحيحًا ؛ لأَنَّني لَمْ أَكُنْ بَعيداً عَنِ البُحَيْرَةِ عِنْدَما سَمِعْتُ صَيْحَةَ : كُوْ إِيْ ! وَكانَتْ تِلْكَ هِيَ الطَّريقَةَ الَّتي اعْتادَ أبي مُناداتي بِها ؛ فَهُرِعْتُ بِاتِّجاهِ البُحَيْرَةِ . وَكانَ والدي هُناكَ وَقَدْ عَقَدَتِ الدَّهْشَةُ لِسانَهُ عِنْدَما رَآني ، ثُمَّ سَأَلَني عَنْ سَبَبِ حُضوري . بَعْدَ ذَلِكَ حَدَثَ أَنْ تَشاجَرْنا . كانَ أبي جِدَّ غاضِبٍ ؛ لِذا تَرَكْتُهُ وَمَضَيْتُ في طَريقي إِلى البَيْتِ .

« لَمْ أَكُنْ قَدْ قَطَعْتُ سِوى مَسافَةٍ قَصيرَةٍ عِنْدَما سَمِعْتُ صَيْحَةً فَظيعَةً ، فَعُدْتُ راجِعاً إِلى البُحَيْرَةِ . كانَ أبي مُلْقًى عَلى الأَرْضِ، وَقَدْ أَصابَتْهُ ضَرْبَةٌ عَلى رَأْسِهِ . وَكانَ يُحْتَضَرُ ، فَأَلْقَيْتُ بُنْدُقِيَّتي وَأَخَذْتُهُ بَيْنَ ذِراعَيَّ لَكِنَّهُ لَفَظَ أَنْفاسَهُ الأَخيرَةَ .

« تَوَجَّهْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلى مَنْزِلِ السَّيِّدِ موران وَطَلَبْتُ إِلَيْهِ

مُساعَدَتي . وَلَمْ أرَ أحَداً قُرْبَ والِدي ، وَلا أعْرِفُ مَنْ قَتَلَهُ .»

وَأضافَ هولمْز قائِلاً : « ثُمَّ اسْتَجْوَبَ المُفَتِّشُ لِيسْتْرِيد مِنْ سكوتْلانْد يارْد الفَتى ، فَدارَ بَيْنَهُما الحِوارُ التّالي :

« لِيسْتْرِيد : «« هَلْ قالَ أبوكَ أيَّ شَيْءٍ قَبْلَ وَفاتِه ؟»»

« ماكارْثي : «« تَمْتَمَ بِكَلِماتٍ قَليلَةٍ غَيْرِ واضِحَةٍ . سَمِعْتُ مِنْها كَلِمَةَ ' رات ' فَقَطْ .»»

« لِيسْتْرِيد : «« لِمَ قالَ ذَلِكَ ؟»»

« ماكارثي : «« لا أدْري .»»

« لِيسْتْرِيد : «« لِمَ كُنْتَ تَتَشاجَرُ مَعَ وَالِدِكَ ؟»»

« ماكارْثي : «« لا أسْتَطيعُ الإجابَةَ عَنْ ذَلِكَ السُّؤالِ .»»

« لِيسْتْرِيد : «« هَلْ تَرْفُضُ الإجابَةَ ؟ إنَّ ذَلِكَ لَيْسَ في صالحِكَ .»»

« ماكارْثي : «« رَغْمَ ذَلِكَ فَأنا أرْفُضُ .»»

« لِيسْتْرِيد : «« وَالآنَ هَلْ كانَتْ صَيْحَةُ : ' كو إي ' الإشارَةَ المُعْتادَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أبيكَ ؟»»

« ماكارْثي : «« أجَلْ !»»

« لِيسْتِرِيد : « لَكِنَّهُ كانَ يَظُنُّ أَنَّكَ في بريسْتول ؛ فَلِمَ أصْدَرَ الإشارَةَ ؟»

« ماكارْثي : « لَسْتُ أدْري .»

« لسْتراد : « وَجَدْتَ أباكَ مُلْقى عَلى الأرْضِ قُرْبَ البُحيْرَةِ ، فَهَلْ رَأَيْتَ أيَّ شَيْءٍ آخَرَ ؟»

« ماكارْثي : « أظُنُّ أنَّني رَأَيْتُ شَيْئًا . كانَ رَمادِيَّ اللَّوْنِ . لَعَلَّهُ كانَ مِعْطَفًا . بَحَثْتُ عَنْهُ وَأنا أغادِرُ المكانَ ، لَكِنَّهُ كانَ قَدِ اخْتفى .»

« لِيسْتِرِيد : « هَل اخْتَفى قَبْلَ ذَهابِكَ في طَلَبِ النَّجْدَةِ ؟»

« ماكارْثي : « أجَلْ .»

« لِيسْتِرِيد : « كَمْ كانَ يَبْعُدُ عَن الجُثَّةِ ؟»

« ماكارْثي : « عَشَرَةَ أمْتارٍ تَقْرِيباً .»

« لِيسْتِرِيد : « وَعَنْ طَرَفِ الغابَةِ ؟»

« ماكارْثي : « المَسافَةَ ذاتَها تَقْرِيباً .»

« لِيسْتِرِيد : « كُنْتَ قَرِيباً تَماماً وَرَغْمَ ذَلِكَ اخْتَفى ؟»

« ماكارْثي : « أجَلْ . كانَ خَلْفي .»

كانَتْ تِلْكَ قِصَّةَ ماكارْثي الابْنِ .

* * *

وَصَلْنا إلى بَلْدَةِ روس في وادي بوزْكوم ، وَكانَ المُفَتِّشُ لِيسْتِريد في انْتِظارِنا ؛ فَقَدْ كانَ عَلى عِلْمٍ بِقُدومِنا بَعْدَ أنْ أبْرَقَ إلَيْهِ هُولْمز . وَرَكِبْنا عَرَبَةً إلى فُنْدُقِ روس ، حَيْثُ حَجَزَ لَنا لِيسْتِريد غُرْفَتَيْنِ .

وَذَهَبْنا إلى غُرَفِنا ثُمَّ طَلَبْنا بَعْضَ الشّاي .

قالَ لِيسْتِريد : « لَقَدْ أمَرْتُ لَكُمْ بِعَرَبَةٍ ، فَتَسْتَطيعونَ الذَّهابَ إلى البحَيْرَةِ قَبْلَ حُلولِ الظَّلامِ .»

قالَ هُولْمز : « شُكْرًا لَكَ يا لِيسْتِريد ، لَكِنَّني لَنْ أخْرُجَ اللَّيْلَةَ .»

ضَحِكَ لِيسْتِريد ، وَقالَ : « أجَلْ ، فَلَوْ فَعَلْتَ لَكانَ ذَلِكَ مَضْيَعَةً لِلْوَقْتِ . لَقَدْ قَتَلَ الفَتى ماكارْثي والِدَهُ ، فَلا أدْري لِمَ أرْسَلَتِ الآنِسَةُ تيرْنَر في طَلَبِكَ ؟ إنَّكَ لا تَسْتَطيعُ أنْ تُضيفَ شَيْئًا ، وَعَلَيْكَ أنْ تُخْبِرَها بِذَلِكَ . ها هِيَ ذي . لَقَدْ تَوَقَّفَتْ عَرَبَتُها لِتَوِّها لَدى البابِ .»

انْفَتَحَ البابُ وَدَلَفَتْ سَيِّدَةٌ حَسْناءُ . كانَتْ عَيْناها تَبْرُقانِ . وَكانَتْ بادِيَةَ الاضْطِرابِ وَالانْفِعالِ .

صاحَتْ : « رَبّاهُ ! سَيِّدُ شِرْلوك هُولْمز ؟ يَسُرُّني أنَّكَ اسْتَطَعْتَ

المَجيءَ . إنَّ جيمس ماكارْثي لَمْ يَقْتُلْ أباهُ . لَقَدْ عَرَفْتُ جيمس مُنْذُ كُنّا طِفْلَيْن ِوَأعْرِفُ أخْطاءَهُ أكْثَرَ مِنْ أيِّ إنْسانٍ آخَرَ . لَكِنَّهُ شابٌّ لَطيفٌ وَعلى خُلُقٍ ، وَلا يُسَبِّبُ أذًى لأيِّ إنْسانٍ .»

قالَ هُولْمز : « سَوْفَ أحاوِلُ مُساعَدَتَهُ .»

« لَقَدْ سَمِعْتَ الحِكايَةَ ، يا سَيِّدُ هُولْمز ؛ فَهَلْ تَعْتَقِدُ أنَّ جيمس قَتَلَ والِدَهُ ؟»

قالَ هُولْمز : « لا أعْتَقِدُ ذَلِكَ .»

صاحَتِ الآنِسَةُ تيرْنر : « ما قَوْلُكَ الآنَ أيُّها المُفَتِّشُ لِيسْتريد ، بَعْدَ أنْ سَمِعْتَ السَّيِّدَ هُولْمز ؟»

رَدَّ لِيسْتريد : « أنا لا أتَّفِقُ مَعَ السَّيِّدِ هُولْمز .»

قالَتْ الآنِسَةُ تيرْنَر : « لَكِنَّهُ عَلى حَقٍّ . إنَّ جيمس لَمْ يَقْتُلْ والِدَهُ . إنَّهُ لَمْ يُفَسِّرْ سَبَبَ الشِّجارِ مَعَ أبيه ، لَكِنَّني أعْرِفُ لِماذا تَشاجَرا ؛ لَقَدْ أرادَ السَّيِّدُ ماكارْثي أنْ يُزَوِّجَهُ بي ، لَكِنَّ جيمس لَمْ يَكُنْ يُحِبُّني كَزَوْجَةٍ ، بَلْ يُحِبُّني كَما يُحِبُّ الأخُ أخْتَهُ ؛ لِذا لَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ في الزَّواجِ بي . وَكَثيراً ما تَشاجَرَ جيمس وَ والِدُهُ مِنْ جَرّاءِ ذَلِكَ .»

سألَ هُولْمز : « هَلْ كانَ أبوكِ يَرْغَبُ في تَزْويجِكِ جيمس ؟»

قالَتِ الآنِسَةُ تيرنَر : « لا ، كانَ ضِدَّ الفِكْرَةِ .»

« شُكْرًا لَكِ ، يا آنِسَةُ تيرْنَر . لَقَدْ كانَتْ لأقوالِكِ أهَمِّيَّةٌ قُصْوى. أوَدُّ رُؤيَةَ أبيكِ . هَلْ أسْتَطيعُ القُدومَ إلى مَنْزِلِكُمْ غَدًا ؟»

« يُؤسِفُني ألا يَسْتَطيعَ مُقابَلَتَكَ بِسَبَبِ مَرَضِهِ ، فَلَنْ يَسْمَحَ الطَّبيبُ بِالزِّياراتِ .»

سألَ هُولمْز : « مُنْذُ مَتى أبوكِ مَريضٌ ؟»

« مُنْذُ أعْوامٍ عَديدَةٍ . لَكِنَّ هَذا الحادِثَ المُؤسِفَ جَعَلَهُ أكْثَرَ سوءاً .»

قالَ هُولمْز : « أدْرِكُ ما تَقولينَ . أخْبريني ، يا آنِسَةُ تيرْنَر ، أيْنَ الْتَقى أبوكِ وَالسَّيِّدَ ماكارْثي لأوَّلِ مَرَّةٍ ؟»

« في أسْتراليا ، عِنْدَ المَناجِمِ .»

« أجَلْ ، عِنْدَ مَناجِمِ الذَّهَبِ . جَمَعَ أبوكِ ثَرْوَتَهُ مِنْها . شُكْرًا لَكِ ، يا آنِسَةُ تيرْنَر . لَقَدْ ساعَدْتِني كَثيراً .»

قالَتِ الآنِسَةُ تيرْنَر : « عَلَيَّ أنْ أذْهَبَ الآنَ إلى أبي ؛ فَهُوَ يَفْتَقِدُني إذا ما تَرَكْتُهُ وَقْتًا طَويلاً . وَداعاً ، يا سَيِّدُ هُولمْز .»

وَهُرِعَتْ مُغادِرَةً الغُرْفَةَ .

قالَ لِيسْتِرِيد : « لا بُدَّ أنْ تَخْجَلَ مِنْ نَفْسِكَ ، يا هُولْمز ؛ فَهِيَ تَعْتَقِدُ الآنَ أنَّكَ تَسْتَطيعُ مَدَّ يَدِ العَوْنِ إلى جيمْس ماكارْثي .»

قالَ هُولْمز : « لَكِنَّني بِالتَّأكيدِ أسْتَطيعُ مُساعَدَتَهُ ، وَسَيُطْلَقُ سَراحُهُ في الحالِ . هَلْ بِاسْتِطاعَتي مُقابَلَتُهُ »

قالَ لِيسْتِرِيد : « بِالطَّبْعِ ، وَسآخُذُكَ إلَيْهِ .»

« إذًا سَأخْرُجُ اللَّيْلَةَ ، يا واطْسُن . وسَأتَغَيَّبُ مُدَّةَ ساعَتَيْنِ .»

أوْشَكَ اللَّيْلُ أنْ يَنْتَصِفَ حينَ عادَ هُولْمز . قالَ : « آمُلُ ألا يَسْقُطَ المَطَرُ غَدًا ؛ إذ أريدُ أنْ أفْحَصَ التُّرْبَةَ قُرْبَ بُحَيْرَةِ بوزْكوم . لَقَدْ قُمْتُ بِزِيارَةِ الفَتى ماكارْثي .»

« بِمَ أخْبَرَكَ ؟»

« إنَّهُ لا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الهُجومِ عَلى والِدِهِ ، وَقَدْ أوْضَحَ لي السَّبَبَ الحَقيقيَّ لِلشِّجارِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ والِدِهِ . إنَّ الفَتى ماكارْثي يُحِبُّ الآنِسَةَ تيرْنَر ، لَكِنَّها ابْتَعَدَتْ عَنْهُ قُرابَةَ خَمْسَةِ أعْوامٍ قَضَتْها في الدِّراسَةِ ، وَتَعَرَّفَ جيمْس خِلالَ هَذِهِ المُدَّةِ إلى فَتاةٍ في بريسْتول . وَكانَ وَقْتَها حَدَثًا ، فَتَزَوَّجَها سِرًّا .

« كانَ أبوه دائِمَ الإلْحاحِ عَلَيْهِ في أنْ يَتَزَوَّجَ الآنِسَةَ تيرْنَر . وَقَدْ

أرادَ جيمْس أنْ يُطيعَ والِدَهُ ، لَكِنَّ ذَلِكَ كانَ مُسْتَحِيلاً لِكَوْنِهِ مُتَزَوِّجًا . وَذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ في تَشاجُرِهِما ، وَالسَّبَبُ في أنْ طَوَّحَ جيمْس بِيَدَيْهِ في الهَواءِ . وَلَمْ يَكُنْ في نِيَّتِهِ الاعْتِداءُ عَلى أبيهِ .»

سَأَلْتُ : « وَلِمَ لَمْ يُخْبِرْ أباهُ بِأَنَّهُ مُتَزَوِّجٌ ؟»

« كانَ أبوهُ رَجُلاً صَعْبَ المِراسِ ، فَلَوْ فَعَلَ لأَلْقى بِهِ خارِجَ المَنْزِلِ . وَلَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ ما يُقيمُ بِهِ أَوَدَهُ ؛ لِذا كانَ عَلَيْهِ البَقاءُ مَعَ والِدِهِ . هَلْ تَذْكُرُ يَوْمَ أنْ قَضى جيمْس ثَلاثَةَ أيّامٍ في بريسْتول ؟ لَقَدْ أمْضاها مَعَ زَوْجَتِهِ .»

سَأَلْتُ : « هَلْ تَعْرِفُ زَوْجَةُ جيمْس أنَّهُ في مِحْنَةٍ ؟»

« أجَلْ . لَقَدْ أرْسَلَتْ إلَيْهِ مُعْلِنَةً إيّاهُ أنَّها قَدْ أنْهَتْ عَلاقَتَها بِهِ . لَقَدْ كانَتْ مُتَزَوِّجَةً قَبْلَ لِقائِها بجيمْس .»

« إذًا فَإنَّ جيمْس لَمْ يَكُنْ مُتَزَوِّجًا بِها !»

قالَ هُولْمز : « هَذا صَحيحٌ ، وَهُوَ الخَبَرُ السّارُّ الوَحيدُ الَّذي حَصَلَ عَلَيْهِ جيمس .»

سَأَلْتُ : « إذا لَمْ يَكُنْ جيمْس هُوَ الَّذي قَتَلَ والِدَهُ ، فَمَنِ الَّذي قَتَلَهُ ؟»

« إنَّني أسْأَلُ السُّؤالَ نَفْسَهُ . لَقَدْ ذَهَبَ الرَّجُلُ لِمُقابَلَةِ شَخْص

ما وَلَمْ يَكُن ِابْنَهُ ، بَلْ كانَ أحَدَ مَعارِفِهِ ؛ لِذا أطْلَقَ صَيْحَتَهَ «« كو إي »» .»

* * *

في الصَّباح ِالتّالي كانَ الطَّقْسُ لَطيفاً ، فَتَوَجَّهْنا – لِيسْتِريد ، وَهُولمْز ، وَأنا – إلى مَنْزِلِ آلِ ماكارْثي .

قالَ لِيسْتِريد : « لَقَدْ قابَلْتُ طَبيبَ السَّيِّدِ تيرْنَر هَذا الصَّباحَ . إنَّ حالَةَ السَّيِّدِ تِيرْنَر تَزْدادُ سوءاً . إنَّهُ يُحْتَضَرُ ؛ فَمُنْذُ سِنينَ خَلَتْ وَهُوَ طَريحُ الفِراش ِ . لَكِنَّ هَذا الحادِثَ المُؤسِفَ زادَ حالَتَهُ سوءاً . وَعَلى أيَّةِ حالٍ ، فَإنَّ ماكارْثي كانَ صَديقَهُ . لَقَدْ أتَّتْ لَهُ بَيْتاً ، وَساعَدَهُ بِطُرُقٍ شَتّى .»

قالَ هُولمْز : « لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ في زَواج ِابْنَتِهِ بِابْن ِصَديقِهِ . وَهَذا يَبْدو غَريباً إلى حَدٍّ ما .»

وَصَلْنا إلى مَنْزِلِ آلِ ماكارْثي ، وَقَرَعْنا الجَرَسَ فَفَتَحَتْ فَتاةُ البابَ . وَطَلَبَ إلَيْها هُولمْز أنْ تُحْضِرَ زَوْجاً مِنْ أحْذِيَةِ السَّيِّدِ ماكارْثي وَزَوْجاً مِنْ أحْذِيَةِ ابْنِهِ وَأخَذَ مَقاسَهُما ، ثُمَّ سَلَكْنا الطَّريقَ إلى بُحَيْرَةِ بوزْكوم . وَيَبْلُغُ عَرْضُ بُحَيْرَةِ بوزْكوم خَمْسينَ مِتْراً ، وَهِيَ تَقَعُ بَيْنَ مَزْرَعَةِ السَّيِّدِ تيرْنَر وَمَنْزِلِ السَّيِّدِ ماكارْثي . وَعَلى الجانِبِ القَريبِ

مِنْ مَنْزِلِ ماكارْثي غابَةٌ كَثيفَةٌ . وَالمسافَةُ بَيْنَ طَرَفِ البُحَيْرَةِ وَالغابَةِ عِشْرونَ مِتْرًا . وَكانَتِ الأَرْضُ جِدَّ نَدِيَّةٍ ، وَمُغَطّاةً بِالعُشْبِ .

سَأَلَ هُولْمز : « أَيْنَ كانَتِ الجُثَّةُ ؟»

أشارَ لِيسْتْرِيد إلى المَكانِ . وَقَدْ تَرَكَتِ الجُثَّةُ أَثَرًا عَلى التُّرْبَةِ اللَّيِّنَةِ . وَتَفَحَّصَ هُولْمز الأَرْضَ ، ثُمَّ قالَ :

« آهِ ! ها هِيَ ذي ثَلاثَةُ أَنْواعٍ مِنَ الآثارِ . إِنَّها آثارُ أَقْدامِ الفَتى

ماكارْثي ، كانَ في نَوْعَيْن ِمِنْها ماشِيًا ، ثُمَّ جَرى مُسْرِعًا في آخِرِ الأمْرِ . وَهَذا يَتَّفِقُ مَعَ حِكايَتِهِ ؛ لَقَدْ جَرى نَحْوَ أبيهِ عِنْدَما كانَ عَلى الأرْضِ . وَها هِيَ ذي آثارُ أقْدامِ أبيهِ ، ثُمَّ آثارَ تَرَكَتْها بُنْدُقِيَّةٌ . كانَ الابْنُ هُنا يُنْصِتُ إلى أبيهِ . ما هَذا الَّذي أرى ؟ أجَلْ ! ثَمَّةَ شَخْصٌ . كانَ يَتَسَلَّلُ عَلى رُءوسِ أصابِعِ قَدَمَيْهِ ! إنَّ لِحِذائِهِ أصابِعَ مُرَبَّعَةً . هُنا تُقْبِلُ ، وَهُنا تُدْبِرُ ، ثُمَّ هُنا تُقْبِلُ مِنْ جَديدٍ لإحْضارِ المِعْطَفِ ؛ فَمِنْ أيْنَ أتَتْ ؟»

وَتَبِعَ هُولْمز الآثارَ إلى حافَةِ الغابَةِ ، ثُمَّ مَضى إلى ما وَراءَ إحْدى الأشْجارِ الكَبيرَةِ ، فَالْتَقَطَ حَجَرًا كَبيرًا إلى حَدٍّ ما ، وَ وَضَعَهُ في جَيْبِهِ . وَسَلَكْنا مَمَرًّا عَبْرَ الغابَةِ ، فَبَلَغْنا الطَّريقَ .

تَوَقَّفَ هُولْمز أمامَ مَنْزِلٍ ، وَقالَ : « لا بُدَّ أنَّ السَّيِّدَ موران يُقيمُ هُنا . إنّي أرْغَبُ في لِقائِهِ ، وَيَجِبُ أنْ أكْتُبَ مُذَكِّرَةً وَأسَلِّمَها لَهُ . أمّا أنْتُما فَبِإمْكانِكُما الانْتِظارُ في العَرَبَةِ . سَأعودُ بَعْدَ بِضْعِ دقائِقَ .»

وَبَعْدَ عَشْرِ دَقائِقَ ، كُنّا في العَرَبَةِ عائدينَ إلى الفُنْدُقِ .

أخْرَجَ هُولْمز الحَجَرَ مِنْ جَيْبِهِ ، وَسَأَلَ : « هَلْ رَأيْتَ هَذا ، يا لِيسْتِرِيد ؟ إنَّ هَذا الحَجَرَ هُوَ الَّذي قَتَلَ السَّيِّدَ ماكارْثي .»

قالَ لِيسْتْرِيد : « وَلَكِنّي لا أرى عَلَيْهِ آثاراً لِدِماءٍ ؛ فَكَيْفَ عَرَفْتَ أنَّهُ الحَجَرُ الَّذي قَتَلَ ماكارْثي ؟»

« كانَ العُشْبُ غَزيراً تَحْتَهُ ، وَهَذا يَعْني أنَّ الحَجَرَ لَمْ تَمْض عَلَيْهِ إلّا أيّامٌ قَلائِلُ . ثُمَّ إنَّ شَكْلَ الحَجَرِ يَنْطَبِقُ عَلى أثَرِ الإصابَةِ في رَأس السَّيِّدِ ماكارْثي .»

« إذاً مَنِ الَّذي قَتَلَهُ ؟»

قالَ هُولْمز : « رَجُلٌ طَويلُ القامَةِ ، أعْسَرُ مُصابٌ في ساقِهِ اليُمْنى ، وَيَنْتَعِلُ حِذاءً ثَقيلاً مُرَبَّعاً عِنْدَ الأصابِعِ ، وَمَعَهُ مِعْطَفٌ رَمادِيُّ اللَّوْنِ . الآنَ أصْبَحَ لَدَيْكَ وَصْفٌ دَقيقٌ لَهُ ، يا لِيسْتْرِيد . وَسَوْفَ تَتَمَكَّنُ مِنَ التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ . سَأكونُ مَشْغولاً بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ ؛ إذْ سَأعودُ إلى لَنْدن اللَّيْلَةَ .»

قالَ لِيسْتْرِيد : « وَلَكِنَّ هذا الوَصْفَ يَنْطَبِقُ عَلى أناسٍ كَثيرينَ ؛ فَهَلّا أعْلَمْتَني مَنْ يَكونُ ؟»

قالَ هُولْمز : « رُبَّما أرْسِلُ إلَيْكَ رِسالَةً في وَقْتٍ مُتَأخِّرٍ مِنْ مَساءِ اليَوْمِ .»

وَعُدْنا إلى الفُنْدُقِ ، وَمَضى لِيسْتْرِيد إلى قِسْمِ الشُّرْطَةِ .

قالَ هُولْمز : « سَأحَدِّثُكَ ، يا واطْسُن ، عَنْ أمْرَيْنِ في قِصَّةِ الفَتى

ماكارْثي : الأوَّلُ صَيْحَةُ أبْيهِ «كو إي» وَالثّاني فَكَلِمةُ «رات» .»

سَأَلْتُ : « ماذا عَنِ الصَّيْحَةِ « كو إي » ؟»

« لَمْ يَكُنْ يَصيحُ عَلى وَلَدِهِ ؛ لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أنَّهُ عادَ . إنَّ هَذِهِ الصَّيْحَةَ يُطْلِقُها الأسْتُرالِيّونَ . وَأعْتَقِدُ أنَّهُ كانَ يَصيحُ عَلى شَخْص أسْتُرالِيٍّ .»

« ماذا عَنْ كَلِمَةِ « رات » ؟»

أخْرَجَ شِرْلوك هُولْمز وَرَقَةً مِنْ جَيْبِهِ ، وَكانَتْ خَريطَةً لأسْتُراليا . وَغَطّى بِإصْبَعِهِ جُزْءاً مِنْها ، ثُمَّ سَألَني : « كَيْفَ تَقْرَأ هَذا ؟»

قُلْتُ : « راتْ !»

وَرَفَعَ هُولْمز إصْبَعَهُ عَنِ الجُزْءِ وَقالَ : « وَالآنَ ؟»

قُلْتُ : « بَلّارات .»

« هَذا صَحيحٌ ، يا واطْسُن . كانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمةٍ نَطَقَ بِها ماكارْثي . كانَ يَقولُ اسْمَ الرَّجُلِ الَّذي قَتَلَهُ .»

قُلْتُ : « تَقْصِدُ أنَّ رَجُلاً مِنْ بَلّارات قَتَلَ ماكارْثي ؟»

قالَ هُولْمز : « أجَلْ . إنَّ قاتِلَ ماكارْثي رَجُلٌ مِنْ مَعارِفِهِ ، وَقَدْ كانَ في بَلّاراتْ وَقْتَ وُقوعِ الجَريمَةِ . وَهُوَ يَرْتَدي مِعْطَفاً رَماديًّا ،

وَحِذاؤُهُ مُرَبَّعٌ عِنْدَ الأصابِعِ ، وَخُطُواتُهُ واسِعَةٌ ؛ فَهُوَ يَتَسَمُّ بِطولِ القامَةِ .»

قُلْتُ : « أ هُوَ مُصابٌ في ساقِهِ اليُمْنى .»

قالَ هُولْمز : « أجَلْ ، إنَّ قَدَمَهُ اليُسْرى تَتْرُكُ عَلى الأرْضِ أثَرًا أعْمَقَ . وَهَذا يَدُلُّ عَلى أنَّهُ يَضَعُ ثِقَلاً أقَلَّ عَلى قَدَمِهِ اليُمْنى وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ مُصابٌ في ساقِهِ اليُمْنى .»

« وَكَيْفَ عَرَفْتَ أنَّهُ أعْسَرُ ؟»

رَدَّ هُولْمز : « وَقَفَ وَراءَ ماكارْثي . وَضَرَبَهُ عَلى الجانِبِ الأيْسَرِ مِنْ رَأسِهِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ يَسْتَخْدِمُ يَدَهُ اليُسْرى .»

قُلْتُ : « لَقَدْ أنْقَذْتَ ماكارْثي الصَّغيرَ ، يا هُولْمز ؛ فَالرَّجُلُ الَّذي قَتَلَ أباهُ كانَ ...»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ انْفَتَحَ البابُ ، وَدَخَلَ الخادِمُ مُعْلِناً قُدومَ السَّيِّدِ جون تيرنر .

كانَ زائِرُنا رَجُلاً طَويلَ القامَةِ ، ذا خُطْوَةٍ بَطيئَةٍ مِنْ جَرّاءِ عاهَةٍ بِساقِهِ اليُمْنى . وَكانَ وَجْهُهُ شاحِباً بادِيَ المَرَضِ .

دَعاهُ هُولْمز قائِلاً : « اجْلِسْ مِنْ فَضْلِكَ . هَلْ تَسَلَّمْتَ مُذَكِّرَتي ؟»

قالَ الرَّجُلُ : « أجَلْ . لَقَدْ أحْضَرَها إليَّ السَّيِّدُ موران . لِماذا تَرْغَبُ في مُقابَلَتي ؟»

قالَ هُولْمز : « لأنَّكَ قَتَلْتَ ماكارْثي .»

وَضَعَ المَريضُ يَدَيْهِ عَلى وَجْهِهِ وَصاحَ : « يَعْلَمُ اللّهُ أنَّني لَمْ أكُنْ عازِمًا عَلى أنْ يُؤخَذَ الفَتى ماكارْثي بِجَريمَةٍ ارْتَكَبْتُها أنا . لَقَدْ كُنْتُ في طَريقي إلى الشُّرْطَةِ .»

رَدَّ هُولْمز : « يَسُرُّني أنْ أسْمَعَ مِنْكَ ذَلِكَ .»

قالَ السَّيِّدُ تيرْنَر : « كُنْتُ أفَكِّرُ في ابْنَتي ؛ فَهَذا الأمْرُ سَوْفَ يَشُقُّ عَلَيْها .»

قالَ هُولْمز : « رُبَّما لا تَسْمَعُ بِذَلِكَ .»

« ماذا ؟»

قالَ هُولْمز : « أنا لَسْتُ شُرْطِيًّا ، وَابْنَتُكَ هِيَ الَّتي أرْسَلَتْ في طَلَبي . وَأنا أمُدُّ لَها يَدَ العَوْنِ ، وَكُلُّ ما أسْعى إلَيْهِ هُوَ إنْقاذُ الفَتى ماكارْثي .»

قالَ السَّيِّدُ تيرْنَر : « إنَّني عَلى شَفا المَوْتِ ، وَيَعْتَقِدُ الأطِبّاءُ أنَّني قَدْ لا أتَجاوَزُ الشَّهْرَ ، وَأفَضِّلُ المَوْتَ في فِراشي .»

نَهَضَ هُولْمز وَمَضى نَحْوَ المِنْضَدَةِ ، وَأخَذَ وَرَقَةً وَقَلَماً ، وَقالَ : « أخْبِرْني بِما حَدَثَ . سَوْفَ أدَوِّنُهُ ، ثُمَّ تُوَقِّعُهُ أنْتَ ؛ فَإذا أطْلَقَتِ الشُّرْطَةُ سَراحَ الفَتى ماكارْثي فَإنَّ هَذا الأمْرَ سَيَظَلُّ في طَيِّ الكِتْمانِ . وَإذا لَمْ يُطْلِقوا سَراحَهُ ؛ فَسَوْفَ أقَدِّمُ الوَرَقَةَ إلَيْهِمْ .»

قالَ السَّيِّدُ تيرْنَر : « شُكراً لَكَ . الآنَ سَأخْبِرُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ : في عام ١٨٦٠ ذَهَبْتُ إلى أسْتُراليا بَحْثاً عَنِ الذَّهَبِ ، لَكِنَّني لَمْ أعْثُرْ عَلى أيِّ أثَرٍ لَهُ . وَكُنْتُ وَقْتَها شاباً يافِعاً ، فَاسْتَطَعْتُ أنْ أجْمَعَ حَوْلي نَفَراً مِنْ أصْحابِ السّوءِ ، وَكَوَّنّا عِصابَةً تَتَألَّفُ مِنْ سِتَّةِ أشْخاصٍ . وَكُنّا نَتَعَرَّضُ لِلنّاسِ في الطُّرُقاتِ الَّتي تَتَفَرَّعُ عَنْ مِنْطَقَةِ المَناجِمِ ، وَنَسْلُبُهُمْ ما لَدَيْهِمْ مِنْ ذَهَبٍ .

« وَذاتَ يَوْمٍ كانَتْ ثَمَّةَ شِحْنَةٌ مِنَ الذَّهَبِ تُنْقَلُ مِن بَلّارات إلى مِلْبورْن ، فَكَمَنّا لَها . وَكانَ يَحْرُسُ الشِّحْنَةَ سِتَّةٌ مِنْ رِجالِ الشُّرْطَةِ وَالسّائِقِ ؛ فَقَتَلْنا يَوْمَها رِجالَ الشُّرْطَةِ السِّتَّةَ في مُقابِلِ ثَلاثَةٍ مِنْ رِفاقي . وَكُنْتُ أوشِكُ أنْ أطْلِقَ النّارَ عَلى السّائِقِ ، إلّا أنَّني قَرَّرْتُ الإبْقاءَ عَلى حَياتِهِ . وَكانَ اسْمُهُ ماكارْثي . وَبَعْدَ أن اسْتَوْلَيْنا عَلى الشِّحْنَةِ وَاقْتَسَمْناها صِرْتُ غَنِيًّا ، فَعُدْتُ إلى إنْجِلْترا ، وَاشْتَرَيْتُ مَزْرَعَةً ، وَعِشْتُ عيشَةً هادِئَةً هانِئَةً ، مُحاوِلاً نِسْيانَ الماضي . وَتَزَوَّجْتُ ، لَكِنَّ زَوْجَتي تُوُفِّيَتْ تارِكَةً لي ابْنَتَنا أليس. وَحَدَثَ أنِ

الْتَقَيْتُ وَما كارْثي .

« وَكُنْتُ يَوْمَها أسيرُ في شارِعِ ريجنت عِنْدَما صادَفْتُهُ ، وَكانَ يَرْتَدي ثِياباً رَثَّةً ، وَقَدْ بَدا مُعْدِماً تَماماً ، فَبادَرَني قائِلاً : « ها نَحْنُ ، يا جون ، قابَلْناكَ أخيراً . إنَّ لِيَ ابْناً يَحْتاجُ لِلرِّعايَةِ ، فَعَلَيْكَ أنْ تُعْنى بِكِلَيْنا مِنَ الآنِ فَصاعِداً . إمّا أنْ تَفْعَلَ وَإمّا أنْ أبْلِغَ الشُّرْطَةَ !»

« وَانْتَقَلا إلى وادي بوزْكوم ، وَلَمْ يَشَأ ماكارْثي مُغادَرَةَ المَكانِ . وَكانَ عَلَيَّ أنْ أؤَثِّثَ لَهُ مَنْزِلاً وَأقْطِعَهُ أرْضاً مِنْ أخْصَبِ ما لَدَيَّ . وَلَمْ أعْرِفْ الرّاحَةَ وَالسَّكينَةَ بَعْدَها ؛ فَلَمْ أسْتَطِعْ نِسْيانَ الماضي وَماكارْثي أمامي دائِماً . وَكَبُرَتْ أليس وَأنا أخْشى أنْ تَعْلَمَ بِأمْرِ الماضي . وَأدْرَكَ ماكارْثي هَذا ، فَكانَ عَلَيَّ أنْ أسْتَرْضِيَهُ دائِماً بِالنُّقودِ وَالأرْضِ . وَأخيراً طَلَبَ أليس لابْنِهِ .

« وَكُنْتُ قَدِ اجْتاحَني المَرَضُ عِنْدَما جاءَني يَطْلُبُ أليس زَوْجَةً لابْنِهِ . وَرَأيْتُ أنَّني لَوْ لَبَّيْتُ طَلَبَهُ لانْتَقَلَتِ الأرْضُ الَّتي أمْلِكُها كُلُّها إلى أسْرَتِهِ ؛ لَكِنّي رَفَضْتُ ، وَلَيْسَ هَذا عَنِ اعْتِراضٍ عَلى الفَتى ، لَكِنَّني كُنْتُ أكْرَهُ والِدَهُ . وَلَمْ يَكُنْ بِمَقْدوري قَبولِ زَواج ابْنَتي بِوَلَدِهِ ، فَهَدَّدَني بِإبْلاغِ الشُّرْطَةِ ، وَأرْسَلَ إليَّ مُتَوَعِّداً بِأنَّها فُرْصَتي الأخيرَةُ ، ثُمَّ طَلَبَ مُقابَلَتي عِنْدَ البُحَيْرَةِ .

« عِنْدَما بَلَغْتُ البُحَيْرَةَ كانَ ماكارْثي يَتَحَدَّثُ إلى ابْنِهِ ، وَيَأْمُرُهُ بِالزَّواجِ بِابْنَتي ؛ فَأَحْسَسْتُ بِغَضَبٍ عارِمٍ . وَتَوارَيْتُ وَراءَ شَجَرَةٍ ، وَقَدْ عَقَدْتُ العَزْمَ عَلى قَتْلِ ماكارْثي . وَحينَ غادَرَ ابْنُهُ ، حَمَلْتُ حَجَراً كَبيراً وَاتَّجَهْتُ نَحْوَهُ . كانَ ظَهْرُهُ إلَيَّ فَضَرَبْتُهُ عَلى رَأْسِهِ ضَرْباً شَديداً ، أَطْلَقَ عَلى إثْرِها صَيْحَةً مُرَوِّعَةً ؛ فَهُرِعَ ابْنُهُ عائِداً إلى المَكانِ ، وَفَرَرْتُ أنا صَوْبَ الغابَةِ ، لَكِنَّني تَذَكَّرْتُ أَنّي نَسيتُ مِعْطَفي ؛ فَتَسَلَّلْتُ بِخِفَّةٍ وَالتَقَطْتُ المِعْطَفَ ، دونَ أنْ يَلْحَظَني الفَتى . تِلْكَ هِيَ الحِكايَةُ بِرُمَّتِها ، يا سَيِّدُ هُولْمز .»

انْتَهى هُولْمز مِنْ كِتابَةِ آخِرِ كَلِمَةٍ ، ثُمَّ وَقَّعَ السَّيِّدُ تيرْنَر الوَرَقَةَ .

قالَ هُولْمز : « سَأَحْتَفِظُ بِها . رُبَّما تُطْلِقُ الشُّرْطَةُ سَراحَ الفَتى دونَ الحاجَةِ إلى هَذِهِ الوَرَقَةِ . وَأنا بِدَوْري لَنْ أبوحَ بِسِرِّكَ إذا هُمْ فَعَلوا ذَلِكَ .»

قالَ السَّيِّدُ تيرْنَر : « شُكْرًا لَكَ ، يا سَيِّدُ هُولْمز . لَقَدْ جَعَلْتَني أَحِسُّ بِالرّاحَةِ في أواخِرِ أيّامي . وَداعاً .» وَغادَرَ الحُجْرَةَ في تُؤَدَةٍ .

تَوَجَّهَ هُولْمز إلى قِسْمِ الشُّرْطَةِ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِما عَثَرَ عَلَيْهِ قُرْبَ البُحَيْرَةِ ، فَأَفْرَجوا عَنِ الفَتى ماكارْثي . وَلَمْ يَعِشِ السَّيِّدُ تيرْنَر بَعْدَها سِوى سِتَّةِ أَشْهُرٍ . وَقَدْ تَمَّ زَواجُ جيمْس ماكارْثي بِالآنِسَةِ أليس تيرنَر ، بَعْدَ ذَلِكَ بِعامٍ . وَلَمْ يَعْلَما قَطُّ بِحَقيقَةِ ما حَدَثَ .

العازِبُ النَّبيل

سَمِعَ النّاسُ جَميعاً بِخَبَرِ زَواجِ اللّورد سايْمون ، كَما سَمِعوا بِنِهايَتِهِ السَّريعَةِ المُفاجِئَةِ . حَدَثَ ذَلِكَ مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَعْوامٍ ، وَكانَ صَديقي شِرْلوك هُولْمز هُوَ الَّذي حَقَّقَ هَذِهِ القَضِيَّةَ . وَلَمْ تُنْشَرِ القِصَّةُ كامِلَةً في الصَّحافَةِ اليَوْمِيَّةِ ؛ لِذا رَأَيْنا تَقْديمَها .

حَدَثَتْ هَذِهِ القِصَّةُ قَبْلَ زَواجِي بِأَسابيعَ قَليلَةٍ ، وَكُنْتُ حينَها لا أَزالُ أَقْطُنُ مَعَ هُولْمز في شارِعِ بيكَر ؛ فَفي عَصْرِ أَحَدِ الأَيّامِ وَصَلَتْهُ رِسالَةٌ .

قالَ هُولْمز بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ قِراءَتِها : « نَحْنُ الآنَ بِصَدَدِ قَضِيَّةٍ جَديدَةٍ . هَذِهِ الرِّسالَةُ مِنَ اللّورد سايْمون . سَأَقْرَؤُها عَلَيْكَ :

»« عَزيزي شِرْلوك هُولْمز ، لَقَدْ وَقَعْتُ في مُشْكِلَةٍ عَويصَةٍ ، وَنَصَحَني اللّورد باكووتر أَنْ أَعْرِضَها عَلَيْكَ . وَيَقولُ إِنَّكَ سَوْفَ تَمُدُّ

لي يَدَ العَوْنِ ؛ فَهَلْ أَسْتَطيعُ الحُضورَ لاسْتِشارَتِكَ ؟ سَتَكونُ عِنْدَ قُدومي قَدْ قَرَأْتَ عَنْ خَبَرِ زَواجي في الصُّحُفِ ، وَسَوْفَ تَعْلَمُ ما حَدَثَ . لَقَدْ شَرَعَ المُفَتِّشُ لِيسْتِريد يَعْمَلُ في القَضِيَّةِ ، لَكِنَّني أَوَدُّ أَنْ تُسْهِمَ أَنْتَ فيها أَيْضاً . تَحَدَّثْتُ إلى المُفَتِّش لِيسْتِريد في الأَمْرِ ، فَأَبْدى رَغْبَةً صادِقَةً في أَنْ تُساعِدَهُ . سَأَحْضُرُ إِلَيْكَ في الرّابِعَةِ مِنْ عَصْرِ اليَوْمِ . أَرْجو أَنْ تَكونَ في انْتِظاري ، فَالأَمْرُ مُهِمٌّ جِدًّا .

المُخْلِصُ

« روبرت سايْمون » .

قُلْتُ : « إِنَّهُ قادِمٌ في الرّابِعَةِ ، أَيْ أَنَّهُ سَيَكونُ هُنا بَعْدَ ساعَةٍ .»

قالَ هُولْمز : « إِذاً سَيَكونُ لَدَيَّ مُتَّسَعٌ مِنَ الوَقْتِ لِلإِطِّلاعِ عَلى القَضِيَّةِ مِنْ تَقارِيرِ الصُّحُفِ . كَما أَنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أَقْرَأَ شَيْئًا عَنِ اللورد سايْمون . تَسْتَطيعُ مُساعَدَتي في ذَلِكَ ، يا واطْسُن . لَقَدْ قَرَأْتَ الصُّحُفَ فَقُصَّ لي ما وَرَدَ فيها مِنْ تَقارِيرَ حَوْلَ هَذا الزَّواجِ .»

تَناوَلَ هُولْمز كِتاباً أَحْمَرَ وَتَصَفَّحَهُ ثُمَّ قال : « ها هُوَ ذا روبرت سايْمون ، الابْنُ الثّاني لدوق بالمورال . وُلِدَ عامَ ١٨٤٦ . عُمْرُهُ الآنَ ٤١ سَنَةً . وَهَذِهِ سِنٌّ مُتَأَخِّرَةٌ بِالنِّسْبَةِ لإِنْسانٍ يَتَزَوَّجُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ . أَمّا الباقي فَلَيْسَ بِذي بالٍ . ماذا وَجَدْتَ في الصُّحُفِ ، يا واطْسُن؟»

قُلْتُ : « وَجَدْتُ الكَثيرَ . لَقَدْ بَدَأتِ القِصَّةُ مُنْذُ أسابيعَ . تَقولُ التَّقاريرُ : سَوْفَ يَتَزَوَّجُ اللورد سايمْون في القَريبِ العاجِلِ . وَهُوَ الابْنُ الثّاني لِدوق بالمورال . وَعَروسُهُ هِيَ الآنِسَةُ هاتي دوران ابْنَةُ السَّيِّدِ ألويسيوس دوران مِنْ سان فرانْسيسْكو .»

قالَ هُولْمز : « تَقْريرٌ موجَزٌ ، لَكِنَّهُ يُقَدِّمُ لَنا الوقائِعَ .»

قُلْتُ : « ثَمَّةَ خَبَرٌ أكْثَرُ تَفْصيلاً بَعْدَ أيّام قَلائِلَ ، وَهَذا نَصُّهُ : « عازِبٌ إنْجليزِيٌّ نَبيلٌ آخَرُ سَوْفَ يَتَزَوَّجُ فَتاةً أمْريكِيَّةً . إنَّهُ اللّورد سايْمون الَّذي يَبْلُغُ مِنَ العُمْرِ الحادِيَةَ وَالأرْبَعينَ وَلا يَزالُ عَزَبًا . قَرَّرَ الزَّواجَ الآنَ وَقَدْ وَقَعَ اخْتِيارُهُ عَلى الآنِسَةِ هاتي موران ابْنَةِ المِلْيونيرِ ألويسيوس مِنْ كاليفورنيا . وَهِيَ مُقيمَةٌ في لندن مُنْذُ سِتَّةِ أشْهُرٍ . إنَّها الابْنَةُ الوَحيدَةُ لأبيها ، وَهِيَ امْرَأَةٌ جِدُّ ثَرِيَّةٍ . أمّا والِدُ اللّورد سايْمون فَهُوَ الدّوق بِالمورال ، الَّذي اضْطُرَّ لِبَيْع لَوْحاتِهِ جَميعاً خِلالَ السَّنَواتِ القَليلَةِ الماضِيَةِ . وَابْنُهُ اللّورد سايْمون لَيْسَ رَجُلاً غَنِيًّا . وَهَذا الزَّواجُ سَيَمْنَحُ السَّيِّدَةَ اسْمًا نَبيلاً ، وَفي المُقابِلِ سَيَجْلُبُ الكَثيرَ مِنَ المالِ إلى آلِ سايْمون » .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ ثَمَّةَ شَيْءٌ آخَرُ ؟»

أجَبْتُ : « أجَلْ ، ثَمَّةَ الكَثيرُ . يَقولُ التَّقريرُ إنَّ الزَّواجَ سَيَتِمُّ في

هُدوءٍ ، وَسَتَقْتَصِرُ الدَّعْوَةُ عَلى القَليلِ مِنَ الأَصْدِقاءِ . سَوْفَ يُقيمُ اللّورد سايْمون مَعَ زَوْجَتِهِ في لانكاستر غيت ، حَيْثُ اشْتَرى لَهُما السَّيِّدُ دوران مَنْزِلاً .

« ثُمَّ ظَهَرَ بالأَمْسِ التَّقْريرُ التّالي : بَعْدَ العُرْسِ اخْتَفَتِ الآنِسَةُ دوران .»

سَأَلَ هُولْمز : « مَتى اخْتَفَتْ ؟»

أَجَبْتُ : « أَمْسِ . بَعْدَ العُرْسِ مُباشَرَةً .»

قالَ هُولْمز : « كَثيراً ما تَخْتَفي النِّساءُ قَبْلَ العُرْسِ ، وَأَحْياناً يَخْتَفينَ بَعْدَهُ بِأَيّامٍ قَليلَةٍ . لَكِنْ في اليَوْمِ ذاتِهِ ، فَذَلِكَ ما لَمْ أَسْمَعْ بِهِ مِنْ قَبْلُ .»

قُلْتُ : « ظَهَرَ هَذا التَّقريرُ في صَحيفَةِ اليَوْمِ . وَقَرَأْتُ :

« اخْتِفاءُ اللّيدي سايْمون . اضْطِرابٌ في أُسْرَةِ اللّورد روبرت سايْمون . تَزَوَّجَ اللّورد سايْمون الآنِسَةَ هاتي دوران ، لَكِنْ شَيْئاً غَريباً حَدَثَ بَعْدَ العُرْسِ . إِلَيْكُمْ القِصَّةَ كامِلَةً : «« أُقيمَتْ حَفْلَةُ العُرْس وَلَمْ يُدْعَ إِلَيْها إِلّا القَليلونَ . وَتَوَجَّهوا بَعْدَ العُرْسِ إِلى مَنْزِلِ السَّيِّدِ أَلويسيوس دوران في لانكاستر غيت ، حَيْثُ كانَتْ في انْتِظارِهِمْ مائِدَةٌ حافِلَةٌ .

« وَحاوَلَتِ امْرَأَةُ الدُّخولَ إلى المَنْزِلِ ؛ مِمّا سَبَّبَ بَعْضَ القَلاقِلِ . وَقَدِ ادَّعَتْ بِأَنَّ اللَّوْرْد سايْمون صَديقُها ، وَ وَعَدَها بِالزَّواجِ . وَعِنْدَما لَمْ يُسْمَحْ لَها بِالدُّخولِ غادَرَتِ المكانَ .

« وَكانَتِ الآنِسَةُ دوران قَدْ سَبَقَتْها في الوُصولِ إلى المَنْزِلِ فَلَمْ تَرَها ، ثُمَّ جَلَسَتْ لِتَناوُلِ الطَّعامِ . وَفي أَثْناءِ تَناوُلِ الوَجْبَةِ نَهَضَتْ مُتَعَلِّلَةً بِأَنَّها لَيْسَتْ عَلى ما يُرامُ ، وَصَعِدَتْ إلى حُجْرَتِها .

« صَعِدَ أَبوها إلى الطَّابَقِ العُلْوِيِّ مِنَ المَنْزِلِ لِيَطْمَئِنَّ عَلَيْها ، لَكِنَّها لَمْ تَكُنْ مَوْجودَةً ؛ لَقَدْ اخْتَفَتْ ابْنَتُهُ . وَتَقولُ إحْدى الفَتَياتِ العامِلاتِ في المَنْزِلِ بِأَنَّها رَأَتِ الآنِسَةَ دوران وَهِيَ تَضَعُ قُبَّعَتَها وَتَرْتَدي مِعْطَفَها ، ثُمَّ تَهْبِطُ إلى الطَّابَقِ السُّفْلِيِّ مِنَ المَنْزِلِ .

« تَوَجَّهَ كُلٌّ مِنَ اللوردِ سايْمون وَالسَّيِّدِ ألويسيوس دوران إلى الشُّرْطَةِ ، الَّتي تَتَوَلّى البَحْثَ عَنِ الآنِسَةِ دوران الآنَ . وَيَزْعُمُ بَعْضُ النّاسِ أَنَّها ماتَتْ . وَقَدِ اقْتيدَتْ إحْدى النِّساءِ إلى قِسْمِ الشُّرْطَةِ لِلتَّحْقيقِ .»

سألَ هُولْمز : « أ هَذا كُلُّ ما لَدَيْكَ ؟»

قُلْتُ : « لا ، ثَمَّةَ شَيْءٌ آخَرُ في جَريدَةٍ أُخْرى . إلَيْكَ هَذا النَّبَأَ :

« الشُّرْطَةُ تُلْقي القَبْضَ عَلى الآنِسَةِ فلورا ميلار ، الَّتي كانَتْ سَبَبًا

في إثارَةِ القَلاقِلِ عِنْدَ مَنْزِلِ السَّيِّدِ دوران . وَهِيَ تَعْمَلُ راقِصَةً في أليغرو ، وَكانَتِ عَلى عَلاقَةٍ بِاللورد سايْمون مُنْذُ سِنِينَ خَلَتْ .» .»

قالَ هُولْمز : « أسْمَعُ جَرَسَ البابِ ، يا واطْسُن . لا بُدَّ أنَّهُ اللّورد سايْمون .»

كانَ اللّورد سايْمون في الحادِيَةِ وَالأرْبَعينَ مِنْ عُمْرِهِ ، لَكِنَّهُ بَدَا أكْبَرَ مِنْ سِنِّهِ الحَقيقِيَّةِ ؛ إذ كانَ شَعْرُهُ رَمادِيًّا ، وَكانَ مُنْحَنِيَ الظَّهْرِ.

بادَرَهُ هُولْمز : « تَفَضَّلْ بِالجُلوسِ ، سَيِّدي اللّورد . هَذا صَديقي الدُّكْتورُ واطْسُن . لَقَدْ قَرَأنا عَنْ زِفافِكَ في الصُّحُفِ فَهَلْ ما وَرَدَ فيها مِنْ رُواياتٍ صَحيحٌ ؟»

قالَ اللّورد سايْمون : « أجَلْ ، لَكِنْ لَيْسَ لَدَى الصُّحُفِ الوَقائِعُ جَميعاً .»

قالَ هُولْمز : « إذاً يَتَحَتَّمُ عَلَيَّ أنْ أسْألَكَ بَعْضَ الأسْئِلَةِ .»

قالَ اللّورد : « عَلى الرُّحْبِ وَالسَّعَةِ .»

سَألَ هُولْمز : « مَتى وَأيْنَ قابَلْتَ الآنِسَةَ هاتي دوران ؟»

أجابَ اللّورد : « في سان فرانْسيسْكو مُنْذُ عامٍ مَضى . كُنْتُ وَقْتَها أتَنَقَّلُ في الوِلاياتِ المُتَّحِدَة .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ عَرَضْتَ عَلَيْها الزَّواجَ وَقْتَها ؟»

أجابَ اللّورد : « لا . لَكِنَّني أعْجِبْتُ بِها كَثيراً .»

قالَ هُولْمز : « أبوها يَتَمَتَّعُ بِالثَّراءِ .»

قالَ اللّورد : « بَلْ هُوَ أغْنى رَجُلٍ في سان فرانْسيسْكو .»

سَأَلَ هُولْمز : « كَيْفَ جَمَعَ ثَرْوَتَهُ ؟»

أجابَ اللّورد : « مِنْ مَنْجَمِ ذَهَبٍ . مُنْذُ سِنينَ قَليلَةٍ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ شَيْئًا ، ثُمَّ عَثَرَ عَلى الذَّهَبِ . وَهُوَ الآنَ مِنْ أغْنى الأغْنِياءِ .»

قالَ هُولْمز : « أخْبِرْني عَنْ زَوْجَتِكَ .»

قالَ اللّورد : « كانَتْ في العِشْرينَ عِنْدَما عَثَرَ أبوها عَلى الذَّهَبِ . وَكانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ تَعيشُ في مُعَسْكَراتِ العامِلينَ بِمَناجِمِ الذَّهَبِ . وَكانَتِ الحَياةُ شاقَّةً بِالنِّسْبَةِ لَها ، وَلَمْ تُلْحَقْ بِمَدْرَسَةٍ . لَقَدْ كانَتْ جامِحَةً وَمُنْطَلِقَةً ، لَكِنَّها ذات خُلُقٍ ، وَلَمْ تَقْتَرِفْ خَطَأً .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ لَدَيْكَ صورَةً لَها ؟»

قالَ اللورد وَهُوَ يُقَدِّمُ الصّورَةَ لِهُولْمز : « لَقَدْ أحْضَرْتُ هَذِهِ الصّورَةَ مَعي .» وَأَلْقَيْتُ وَهولْمز نَظْرَةً على الصّورَةِ . لَقَدْ كانَتْ هَاتي دوران فائِقَةَ الحُسْنِ .

قالَ هُولْمز : « وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ جاءَتِ الصَّبِيَّةُ إلى لندن ، وَرَأَيْتَها

لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ .»

أجابَ اللّورد : « نَعَمْ . لَقَدْ وَقَعْتُ في حُبِّها ، وَنَحْنُ الآنَ مُتَزَوِّجانِ .»

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ جَلَبَتْ لَكَ الكَثيرَ مِنَ المالِ .»

قالَ اللّورْد : « أجَلْ .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ سَتَحْتَفِظُ بِالمالِ ؟»

أجابَ اللّورد : « لا أدْري . المالُ لَيْسَ مُهِما . أريدُ زَوْجَتي .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ رَأَيْتَ الآنِسَةَ دوران قَبْلَ الزِّفافِ ؟»

أجابَ اللّورد : « أجَلْ .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ كانَتْ سَعيدَةً ؟»

أجابَ اللّورد : « في غايَةِ السَّعادَةِ . تَحَدَّثَتْ عَنْ حَياتِنا مَعًا .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ كانَتْ عَلى حالَتِها مِنَ السَّعادَةِ صَبيحَةَ يَوْمِ العُرْسِ ؟»

أجابَ اللّورد : « أجَلْ . وَلَكِنَّها تَبَدَّلَتْ أثْناءَ الزِّفافِ .»

سَأَلَ هُولْمز : « ماذا حَدَثَ ؟»

أجابَ اللّورد : « كانَ أمْرًا غَيْرَ ذي بالٍ ؛ فَقَدْ أسْقَطَتْ أزْهارَها ، فَالْتَقَطَها أحَدُ الرِّجالِ وَأعادَها إلَيْها . وَكانَتْ تَتَكَلَّمُ بِصُعوبَةٍ بالِغَةٍ ،

وَنَحْنُ في طَريقِنا إلى المَنْزِلِ .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ كانَ الرَّجُلُ الَّذي أعادَ إلَيْها الزُّهورَ مِنْ أصْدِقائِها ؟»

أجابَ اللّورد : « لا أظُنُّ ذَلِكَ .»

قالَ هُولْمز : « ماذا فَعَلَتْ بَعْدَ أنْ عُدْتُما إلى المَنْزِلِ ؟»

أجابَ اللّورْد : « تَحَدَّثَتْ إلى أليس .»

سَأَلَ هُولْمز : « مَنْ أليس ؟»

أجابَ اللّورْد : « فَتاةٌ تَعْمَلُ في خِدْمَةِ زَوْجَتي ، اصْطَحَبَتْها مَعَها مِنْ كاليفورنيا .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ هُما صَديقَتانِ حَميمَتانِ ؟»

أجابَ اللّورْد : « نَعَمْ . لَقَدْ كانَتا لا تَفْتَرِقانِ .»

سَأَلَ هُولْمز : « ماذا قالَتا ؟ هَلِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَسْمَعَ ؟»

أجابَ اللّورْد : « تَحَدَّثَتْ زَوْجَتي بِكَلامٍ مُبْهَمٍ عَنِ ادِّعاءٍ قانونِيٍّ . إنَّها تَتَحَدَّثُ عَنْ أمورٍ غامِضَةٍ في بَعْضِ الأحْيانِ ، وَأحْيانًا لا أسْتَطيعُ فَهْمَ زَوْجَتي . ثُمَّ بَدَأنا في تَناوُلِ وَجْبَةِ الطَّعامِ . وَبَعْدَ عَشْرِ دَقائِقَ شَعَرَتْ أنَّها لَيْسَتْ عَلى ما يُرامُ ، وَخَرَجَتْ وَلَمْ تَعُدْ .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ رَآها أحَدٌ ؟»

أجابَ اللّورْد : « أجَلْ . لَقَدْ رَأَتْها أليس . لَبِسَتْ زَوْجَتي مِعْطَفَها وَ وَضَعَتْ قُبَّعَتَها عَلى رَأسِها ، وَغادَرَتِ المَنْزِلَ . وَقَدْ رَآها أحَدُهُمْ في الحَديقَةِ العامَّةِ فيما بَعْدُ ، وَكانَتْ بِرِفْقَةِ فلورا ميلار المَرْأةِ الَّتي كانَتْ قَدْ جاءَتْ إلى المَنْزِلِ .»

سَألَ هُولمْز : « وَلَكِنَّ فلورا ميلار واحِدَةٌ مِنْ صَديقاتِكَ .»

أجابَ اللّورْد : « أجَلْ . كُنّا صَديقَيْنِ حَميمَيْنِ . كانَتْ تَرْقُصُ في الأليغرو ، وَكُنْتُ أحْسِنُ مُعامَلَتَها ، وَكَثيراً ما أغْدَقْتُ عَلَيْها المالَ .

« وَعِنْدَما سَمِعَتْ بِأنَّني سَأتَزَوَّجُ ؛ غَضِبَتْ غَضَباً عارِماً . وَخَشيتُ أنْ تُثيرَ فَضيحَةً ؛ لِذا اقْتَصَرْتُ عَلى دَعْوَةِ أقَلِّ القَليلِ مِنَ الأصْدِقاءِ . ثُمَّ حَضَرَتْ فلورا إلى المَنْزِلِ ، وَهَدَّدَتْ بِأنَّها سَتَقْتُلُ زَوْجَتي ؛ فَمَنَعْناها مِنْ دُخولِ المَنْزِلِ ، فَغادَرَتْهُ .»

سَألَ هُولمْز : « هَلْ سَمِعَتْ زَوْجَتُكَ بِكُلِّ ما حَدَثَ ؟»

أجابَ اللّورْد : « لا . وَلَمْ تَعْرِفْ شَيْئاً عَنْهُ . لَقَدِ انْتَهى في غُضونِ ثَوانٍ قَليلَةٍ .»

قالَ هُولمْز : « ثُمَّ شوهِدَتْ زَوْجَتُكَ في الحَديقَةِ العامَّةِ بِرُفْقَةِ فلورا ميلار ؟»

قالَ اللّورْد : « أجَلْ ، وَيَقولُ المُفَتِّشُ لِيسْتِريد إنَّ هَذِهِ نُقْطَةٌ في غايَةِ الأهَمِيَّةِ ، إذْ لا بُدَّ أنْ فلورا تَعْرِفَ مَكانَ زَوْجَتي .»

قالَ هُولْمز : « هَذا جائِزٌ . ما رَأْيُكَ أنْتَ ؟»

أجابَ اللّورْد : « لا أظُنُّ أنَّ فلورا تُؤذيها .»

قالَ هُولْمز : « لَكِنَّها كانَتْ في سَوْرَةِ الغَضَبِ . وَمَنْ يَدْري ؛ فَلَعَلَّها هاجَمَتْ زَوْجَتَكَ ! لِماذا اخْتَفَتْ زَوْجَتُكَ ، أيُّها اللّورْد سايْمون ؟ هَلْ لَدَيْكَ أيَّةُ فِكْرَةٍ ؟»

أجابَ اللّورْد : « لَقَدْ تَزَوَّجَتْ في أسْرَةٍ نَبيلَةٍ ، الأمْرُ الَّذي جَعَلَها تَشْعُرُ بِأنَّ حَياتَها سَوْفَ تَتَبَدَّلُ . وَمَنْ يَدْري ؛ فَلَعَلَّها خَشِيَتْ مَغَبَّةَ ذَلِكَ .»

قالَ هُولْمز : « ذَلِكَ جائِزٌ أيْضاً . بَقِيَ لَدَيَّ سُؤالٌ واحِدٌ فَقَطْ : عِنْدَما كُنْتَ جالِساً مَعَ زَوْجَتِكَ إلى المائِدَةِ ، ماذا كانَ بِإمْكانِكَ أنْ تَرى عَبْرَ النّافِذَةِ ؟»

أجابَ اللّورْد : « الطَّريقَ المُواجِهَ لِلْمَنْزِلِ ، وَالحَديقَةَ العامَّةَ .»

قالَ هُولْمز : « أشْكُرُكَ . هَذا كُلُّ ما أحْتاجُ . انْتَظِرْ مِنّي عَمّا قَليلٍ بَعْضَ الأخْبارِ .»

خَرَجَ اللّورْد سايْمون ، وَبَعْدَها بِدَقائِقَ وَصَلَ المُفَتِّشُ لِيسْتْرِيد ، يَحْمِلُ حَقيبَةً وَضَعَها عَلى الأَرْضِ ، ثُمَّ تَناوَلَ فِنْجانَ شاي .

سَأَلَ هُولْمز : « ماذا حَدَثَ ؟ إِنَّكَ لا تَبْدو عَلى ما يُرامُ !»

أَجابَ لِيسْتْرِيد : « هَذا صَحيحٌ . إِنَّني لَمْ أَعْثُرْ عَلى اللّيدي سايْمون بَعْدُ . لَقَدْ أَمْضَيْتُ سَحابَةَ يَوْمي ، وَأَنا أَعْمَلُ في هَذِهِ

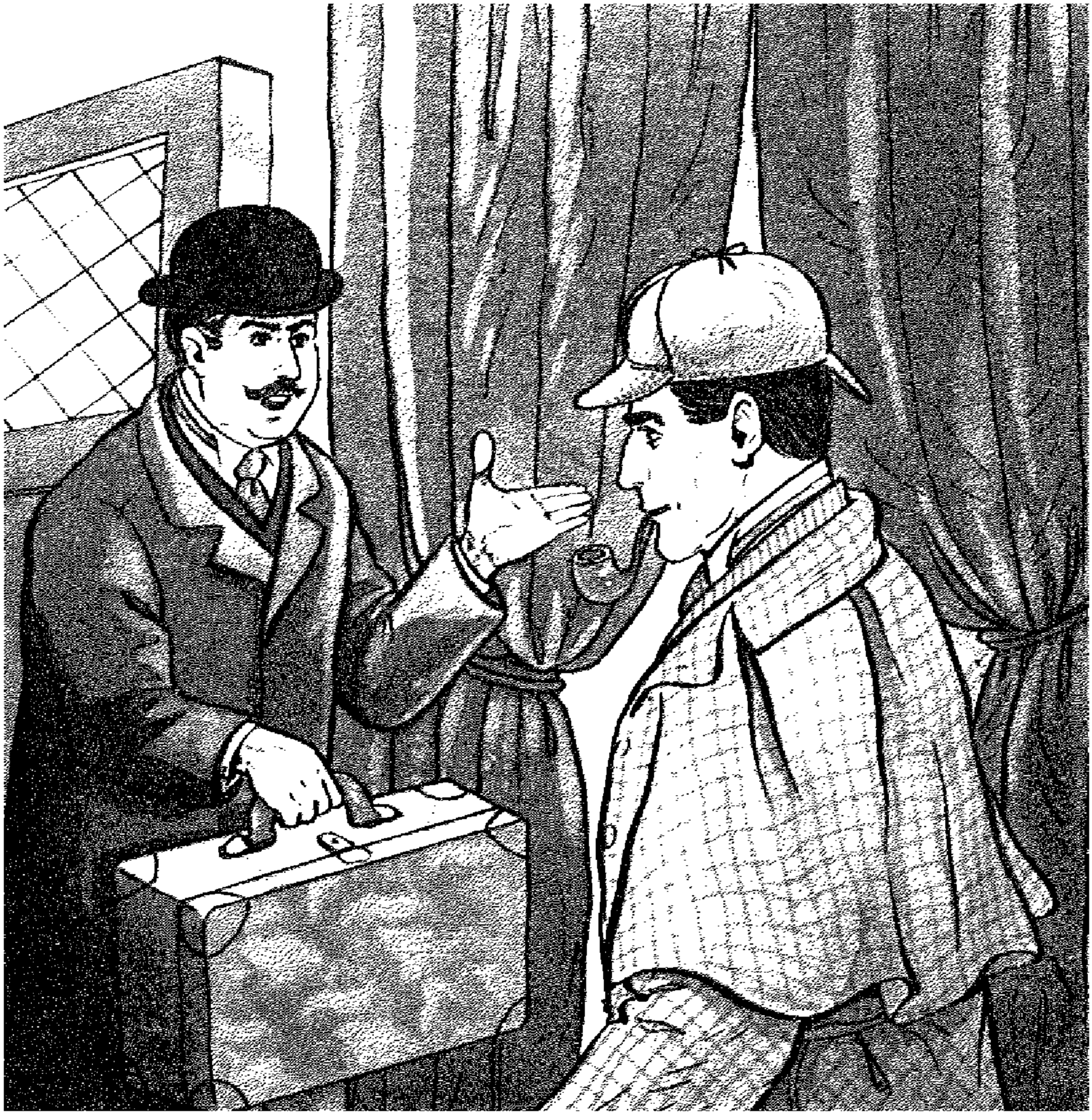

القَضِيَّةِ دونَ جَدْوى .»

قالَ هُولْمز : « وَأراكَ مُبْتَلًّا !»

قالَ لِيسْتِريد : « أجَلْ . لَقَدْ كُنّا في المُنْتَزَهِ نُفَتِّشُ في البُحَيْرَةِ .»

سَألَ هُولْمز : « عَمَّ كُنْتُمْ تَبْحَثونَ ؟»

قالَ لِيسْتِريد بِحُزْنٍ ظاهِرٍ : « عَنْ جُثَّةِ اللّيدي سايْمون .»

قَهْقَهَ هُولْمز بِصَوْتٍ عالٍ ، وَقالَ : « لَنْ تَجِدوها هُناكَ .»

أبدى لِيسْتِريد امْتِعاضَهَ قائِلاً : « وَتَعْرِفُ أنْتَ أيْنَ هِيَ ؟»

قالَ هُولْمز : « لَيْسَتْ في البُحَيْرَةِ .»

قالَ لِيسْتِريد وَقَدْ راحَ يَفْتَحُ حَقيبَتَهُ ، وَيُخْرِجُ مِنْها ثَوْبًا أبْيَضَ ، وَزَوْجًا مِنَ الأحْذِيَةِ البَيْضاءِ ، وَبَعْضَ الأزْهارِ : « إذًا كَيْفَ تُفَسِّرُ هَذا ؟»

كانَتِ الأشْياءُ الَّتي أخْرَجَها لِيسْتِريد مُبَلَّلَةً ، وَ وَضَعَ خاتَمًا ذَهَبِيا فَوْقَ الكَوْمَةِ ، وَأرْدَفَ قائِلاً : « ما رَأيُكَ فيما تَرى ؟ لَقَدْ عَثَرْنا عَلى هَذِهِ الأشْياءِ في البُحَيْرَةِ . إنَّها مَلابِسُ اللّيدي سايْمون ، وَمِنْ ثَمَّ فَلا بُدَّ أنَّ جُثَّتَها مَوْجودَةٌ قُرْبَ البُحَيْرَةِ .»

قالَ هُولْمز : « لا أظُنُّ ذَلِكَ . إنَّ ثِيابي في غُرْفَةِ النَّوْمِ ، لَكِنَّني

لَسْتُ قُرْبَها دائِماً . اسْتَمِرَّ في حَديثِكِ مِنْ فَضْلِكَ ، يا لِيسْتِريد .»

مَضى لِيسْتِريد يَقولُ : « أرى أنَّ فلورا ميلار قَدْ قَتَلَتِ اللّيدي سايْمون ؛ فَلَدَيَّ خِطابٌ كانَ في جَيْبِ الثَّوْبِ الأبْيَضِ ، مَكْتوبٌ فيهِ «« عِنْدَما تَرَيْنَني ، سَيَكونُ كُلُّ شَيْءٍ جاهِزاً . تَعالَيْ في الحالِ . ف. هـ. م. »» إنَّ فلورا ميلار هِيَ الَّتي أرْسَلَتْ هَذا الخِطابَ إلى اللّيدي سايْمون . وَذَهَبَتِ اللّيدي إلى المُنْتَزَهِ العامِّ ، فَقامَتْ فلورا ميلار بِقَتْلِها .»

قَهْقَهَ هُولْمز وَسَأَلَ : « هَلْ أسْتَطيعُ رُؤيَةَ الخِطابِ ، يا لِيسْتِريد ؟» ثُمَّ نَظَرَ إلَيْهِ وَأرْدَفَ قائِلاً : « هَذا يُفيدُ القَضِيَّةَ .»

قالَ لِيسْتِريد : « إنَّكَ تَقْرَأُ الوَجْهَ الَّذي لا يَعْنينا مِنَ الخِطابِ . إنَّ الرِّسالَةَ عَلى الوَجْهِ الآخَرِ .»

قالَ هُولْمز : « لَكِنَّ هَذا هُوَ الجُزْءُ الَّذي يُهِمُّني . إنَّهُ يَقولُ : «« أكتوبر (تشرين الأوَّل) غُرْفَةَ ٨ شِلِنات ، إفْطارَ ٣ شِلِنات »» .»

قالَ لِيسْتِريد : « إنَّكَ تُضَيِّعُ وَقْتي سُدًى ! إلى اللِّقاءِ يا هُولْمز . سَوْفَ نَرى مَنِ الَّذي يَعْثُرُ أوَّلاً عَلى اللّيدي سايْمون .» ثُمَّ جَمَعَ الثِّيابَ وَ وَضَعَها في الحَقيبَةِ .

قالَ هُولْمز : « إلَيْكَ هَذِهِ المُفاجَأةَ ، يا لِيسْتِريد . لَيْسَ ثَمَّةَ امْرَأةٌ

بِاسْمِ اللّيدي سايْمون . إنَّها إنْسانٌ غَيْرُ مَوْجودٍ عَلى الإطْلاقِ .»

قَهْقَهَ لِيسْتِريد ، وَهُوَ يُغادِرُ المكانِ ، وَقالَ : « يَجِبُ أنْ أذْهَبَ .»

وَما إنْ انْصَرَفَ لِيسْتِريد ، حَتّى ارْتَدى هُولْمز مِعْطَفَهُ قائِلاً : « عَلَيَّ أنْ أخْرُجَ الآنَ . سَأراكَ فيما بَعْدُ ، يا واطْسُن .»

غَادَرَ هُولْمز المَنْزِلَ في الخامِسَةِ مَساءً . وَفي السّاعَةِ السّادِسَةِ وَصَلَ إلى المَنْزِلِ رَجُلانِ يَحْمِلانِ عُلْبَةً كَبيرَةً ، تَبَيَّنَ لي أنَّها تَحْوي طَعاماً وَشَرابًا ، وَأعِدَّتْ مائِدَةٌ لِخَمْسَةِ أفْرادٍ ، وَصُفَّتْ أطْباقُ الطَّعامِ وَكُئوسُ الشَّرابِ . وَقالَ الرَّجُلانِ إنَّ هُولْمز هُوَ الَّذي طَلَبَ إلَيْهِما إحْضارَ هَذِهِ الأشْياءِ .

عادَ هُولْمز في التّاسِعَةِ مَساءً ، وَما إنْ رَأى المائِدَةَ حَتّى قالَ : « حَسَنٌ ، لَقَدْ أحْضَروا الطَّعامَ .»

سَأَلْتُهُ : « مَنِ القادِمُ لِلْعَشاءِ ؟ لَقَدْ أعِدَّتِ المائِدَةُ لِخَمْسَةِ أفْرادٍ .»

قالَ هُولْمز : « أجَلْ . إنَّ اللّورْد سايْمون وَآخَرَيْنِ قادِمونَ لِتَناوُلِ العشاءِ مَعَنا . أسْمَعُ الآنَ أحَدًا يَصْعَدُ الدَّرَجَ . لا بُدَّ أنَّهُ اللّورْد سايْمون .»

كانَ القادِمُ – بِالفعْلِ – هُوَ السَّيِّدَ النَّبيلَ اللّورْد سايْمون ، وَقَدْ بَدا شَديدَ الغَضَبِ .

بادَرَهُ هُولْمز بِقَوْلِه : « هَلْ تَلَقَّيْتَ رِسالَتي ، أيُّها اللّوَرْد سايْمون ؟»

أجابَ اللّوَرْد : « أجَلْ ، وَقَدْ أدْهَشَني مَضْمونُها . هَلْ أنْتَ موقِنٌ مِنَ الوَقائعِ الّتي لَدَيْكَ ؟»

أجابَ هُولْمز : « أجَلْ ، تَمامَ اليَقينِ .»

جَلَسَ اللّوَرْد سايْمون ، وَأخْفى وَجْهَهُ بِكَفَّيْهِ وَهُوَ يَقولُ : « ماذا سَيَقولُ أبي ؟»

قالَ هُولْمز : « مُجَرَّدُ حادِثٍ . لا تَسْتَطيعُ أنْ تُنْحِيَ بِاللائِمَةِ عَلى أحَدٍ .»

قالَ اللّوَرْد : « لَقَدْ جَلَبَتِ العارَ عَلى أسْرَتي .»

قالَ هُولْمز : « يَنْبَغي أنْ تُفَكِّرَ بِالفَتاةِ المِسْكينَةِ . لَمْ يَكُنْ ما حَدَثَ خَطيئَتَها .»

قالَ اللّوَرْد : « لَنْ أغْفِرَ لَها أبَداً . لَقَدْ سَلَكَتْ مَسْلَكاً شائِناً .»

قُرِعَ جَرَسُ البابِ ، وَذَهَبَ هُولْمز ، ثُمَّ عادَ وَبِصُحْبَتِهِ رَجُلٌ وَامْرَأةٌ. وَقالَ مُخاطِباً اللّوَرْد سايْمون : « اسْمَحْ لي أنْ أقَدِّمَ لَكَ السَّيِّدَ فرانْك هايِ مُولْتُن ، يا صاحِبَ السَّعادَةِ . أمّا السَّيِّدَةُ زَوْجَتُهُ فَقَدْ سَبَقَ لَكَ أنِ الْتَقَيْتَها .»

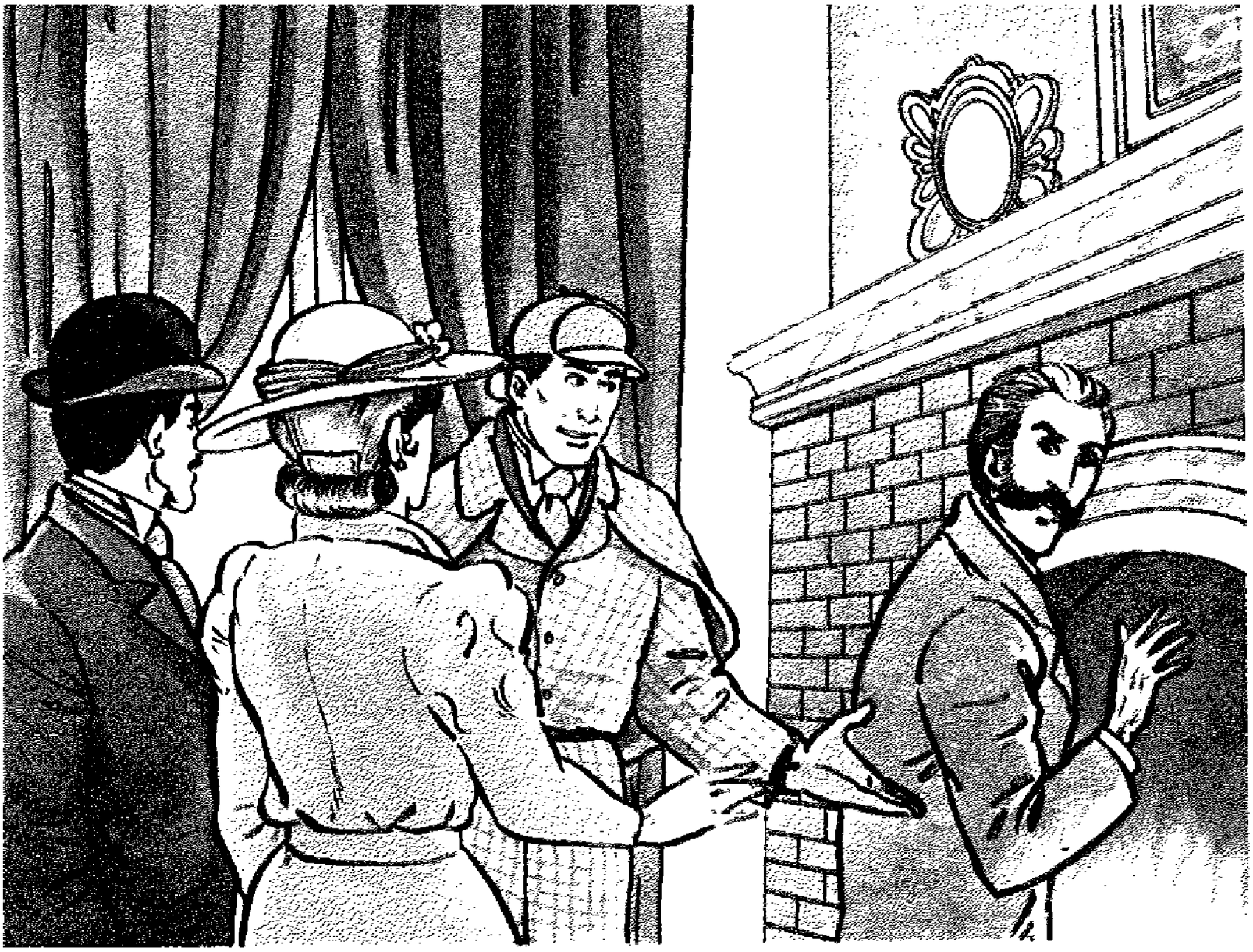

قَفَزَ اللّورْد سايْمون عَنْ كُرْسِيِّهِ دَهِشاً ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ غَضَبٌ عارِمٌ. وَعِنْدَما مَدَّتِ السَّيِّدَةُ يَدَها إلَيْهِ لِتُصافِحَهُ ، أشاحَ بِوَجْهِهِ عَنْها .

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « هَلْ أَنْتَ غاضِبٌ مِنّي يا رُوبرت ؟ إنَّني آسِفَةٌ حَقًّا !»

قالَ اللّورْد : « لا حاجَةَ بِكِ لِلأسَفِ .»

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « لَقَدْ سَلَكْتُ مَسْلَكاً خاطِئاً ؛ لِكَوْني لَمْ أَوَضِّحْ لَكَ الأمورَ . الواقِعُ أَنَّني عِنْدَما رَأَيْتُ فرانك في حَفْلِ الزِّفافِ ، طاشَ

صَوابي وَنَسيتُ كُلَّ ما عَداهُ .»

قالَ هُولمز : « لَعَلَّ مِنْ واجِبي وَ واجِبِ واطْسُن أنْ نُغادِرَ المكانَ الآنَ .»

وَعِنْدَئِذٍ أخَذَ فرانك لأوَّلِ مَرَّةٍ زِمامَ المُبادَرَةِ حينَ قالَ : « لا تُغادِرا المكانَ مِنْ فَضْلِكُما . أريدُ أنْ تَعْرِفوا جَميعاً القِصَّةَ كامِلَةً .»

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « أنا الَّتي سَأرْوي القِصَّةَ لَكُمْ :

« لَقَدِ الْتَقَيْتُ وَفرانك في كاليفورنيا عامَ ١٨٨١ . كانَ أبي وَقْتَها يَجِدُّ في البَحْثِ عَنِ الذَّهَبِ في أرْضٍ يَمْلِكُها . وَحَدَثَ أنْ قابَلْتُ فرانك هُناكَ ، وَعَزَمْنا عَلى الزَّواجِ . ثُمَّ اكْتُشِفَ الذَّهَبُ في أرْضِ والِدي بِكَمِّيّاتٍ لاحَصْرَ لَها . وَكانَتْ لِفرانك أرْضٌ يُجْري البَحْثَ فيها عَنِ الذَّهَبِ أيْضاً ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكْتَشِفْهُ في أرْضِهِ . وَغدا أبي ثَرِيا ، وَازْدادَ ثَراؤُهُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ ، عَلى حينِ ظَلَّ فرانك فَقيراً ، وَازْدادَ فَقْرُهُ مَعَ الأيّامِ . وَرَغْمَ ذَلِكَ كُنْتُ أرْغَبُ في الزَّواجِ بِهِ ، لَكِنَّ أبي أصَرَّ عَلى الرَّفْضِ ، وَانْتَقَلَ بي إلى سان فرانْسيسْكو . وَتَبِعَني فرانك إلى تِلْكَ المَدينَةِ ، وَكُنّا نَلْتَقي سِرا . ثُمَّ قَرَّرَ فرانك أنْ يُعاوِدَ البَحْثَ عَنِ الذَّهَبِ مِنْ جَديدٍ ، وَ وَعَدَني بِالعَوْدَةِ حينَ يُصْبِحُ ثَريا ، وَقَبْلَ أنْ يَرْحَلَ تَزَوَّجْنا في السِّرِّ .

« وَذَهَبَ فرانك إلى نيومكسيكو ، ثُمَّ رَأَيْتُ ذاتَ يَوْمٍ خَبَراً مَنْشوراً في صَحيفَةٍ يَذْكُرُ أَنَّ جَماعَةً مِنَ الهُنودِ الحُمْرِ قَدْ هاجَموا مَنْجَماً لِلذَّهَبِ في وِلايَةِ نيومكسيكو ، وَقَتَلوا كُلَّ مَنْ فيهِ مِنَ الرِّجالِ . وَاسْتَعْرَضَتِ الصَّحيفَةُ أَسْماءَ القَتْلى ، وَكانَ اسْمُ فرانك مِنْ بَيْنِهِمْ . وَأَلْزَمَني النَّبَأُ الفِراشَ شُهوراً طَويلَةً ؛ ثُمَّ حَدَثَ أَنِ الْتَقَيْتُ وَاللّورْد سايْمون في سان فرانْسيسْكو ، وَاصْطَحَبَني والِدي مَعَهُ إلى لندن مُنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، وَالْتَقَيْتُ فيها اللّورْد سايْمون مَرَّةً أُخْرى ، فَطَلَبَ مِنّي أَنْ أَتَزَوَّجَهُ فَقَبِلْتُ طَلَبَهُ . وَقَدْ سُرَّ والِدي بِذَلِكَ سُروراً عَظيماً . لَكِنَّني كُنْتُ لا أَزالُ عَلى حُبّي لِفرانك ، الَّذي ظَنَنْتُ أَنَّهُ ماتَ .

« وَفي يَوْمِ العُرْسِ فوجِئْتُ بِفرانك بَيْنَ الحُضورِ . وَعِنْدَما رَآني وَضَعَ إِصْبَعَهُ عَلى شَفَتَيْهِ إِشارَةً لي بِأَنْ أَحْفَظَ السِّرَّ ، ثُمَّ كَتَبَ شَيْئاً عَلى قُصاصَةٍ مِنَ الوَرَقِ . لَمْ أَنْبِسْ أنا بِدَوْري بِبِنْتِ شَفَةٍ ، وَانْتَهَتْ مَراسِمُ العُرْسِ ، وَكَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ . وَبَيْنَما كُنْتُ أَمُرُّ مِنْ أمام فرانك ، أَسْقَطْتُ عَنْ عَمْدٍ الأَزْهارَ الَّتي كانَتْ بَيْنَ يَدَيَّ ، فَالْتَقَطَها فرانك وَأعادَها إِلَيَّ ، وَمَعَها وَرَقَةٌ مَكْتوبَةٌ يَطْلُبُ فيها أَنْ أَلْحَقَ بِهِ فيما بَعْدُ . وَكانَ عَلَيَّ أَنْ أَنْتَظِرَ مِنْهُ إِشارَةً ؛ فَأَنا لا أَزالُ زَوْجَتَهُ ، وَلا أَزالُ مُقيمَةً عَلى حُبِّهِ ، وَعَلَيَّ أَنْ أَتْبَعَهُ .

« وعُدْنا إلى البيْتِ ، فحدَّثْتُ أليس عَنْ فرانك ، وطَلَبْتُ منْها أنْ تُعِدَّ لي حَقيبةَ سفَرٍ ، وألا تُخْبرَ أحَداً عنْ ذلكَ . ولَمْ أسْتطعْ مُصارحة اللّورْد سايْمون بأنَّني قدْ سبقَ لِيَ الزَّواجُ ؛ فقَدْ كانَ ثَمَّةَ حشْدٌ كبيرٌ منَ المدْعُوّين . لِذا قرَّرْتُ أنْ أخْتفِي .

« وجَلسْنا إلى مائدةِ الطَّعام ، وجلَسْتُ في مكانٍ يَسْمحُ لي بمُراقبةِ الطَّريق والمُنْتزَه العامّ ، ثُمَّ رأيْتُ فرانك ، الّذي أشارَ إلى الحَديقةِ ، ثُمَّ دلَف إلَيْها . وغادرْتُ المائدَةَ إلى الطّابقِ العُلْويّ ، ولَبِسْتُ معْطفي ، ثُمَّ لحِقْتُ بفرانك . وحَدَثَ أنِ استَوْقفَتْني امْرأةٌ في المُنْتزَهِ ، وهاجَمَتْني بقَوْلِها إنَّني سَلَبْتُها اللّورْد سايْمون . وعَلى ما يبْدو فإنَّ لِسايْمون أيْضاً سِرَّهُ الخاصَّ بِهِ . وتَحاشَيْتُ المَرْأةَ قَدْرَ اسْتطاعَتي ، وهَرَبْتُ مِنْ طَريقِها ، وبَحَثْتُ عَنْ فرانك حَتّى وجَدْتُه ، فأخَذَني إلى ميْدانِ غوردُن ، حَيْثُ كانَ يَسْتأجِرُ غُرْفَةً . وهُناكَ رَوى لي قِصَّتَهُ كامِلَةً : لَقَدْ أمْسَكَ بِهِ الهُنودُ الحُمْرُ وحَبَسوهُ سَنَةً كامِلَةً أوْ يَزيدُ ، ثُمَّ اسْتَطاعَ النَّجاةَ والسَّفَرَ إلى سان فرانْسيسْكو ، في وَقْتٍ كُنْتُ فيهِ قَدْ غادَرْتُها إلى إنْجِلْترا ؛ لِذا تَبِعَني فرانك وصادَفَ يَوْمُ وصولِهِ إلى لندن يَوْمَ زِفافي .

« وكانَ عَلَيْنا أنْ نُقَرِّرَ ماذا سَنَفْعَلُ . أرادَ فرانك إبْلاغَ اللّورْد سايْمون بِحَقيقَةِ الأمْرِ ، لَكِنَّني فَضَّلْتُ الاخْتِفاءَ عَنْهُ ، عَلى أنْ

أَخْبِرَ والِدي فيما بَعْدُ . وَأخَذَ فرانك ثَوْبَ الزِّفافِ الأَبْيَضَ وَالحِذاءَ وَخاتَمَ الخُطوبَةِ ، وَألقاها جَميعاً في بُحَيْرَةٍ في المُنْتَزَهِ العامِّ . وَكُنّا سَنُغادِرُ البِلادَ في اليَوْمِ التّالي ، وَلَكِنَّنا صادَفْنا السَّيِّدَ هُولمز الَّذي نَصَحَنا بِأَنْ نُخْبِرَ اللّورْد سايْمون . تِلْكَ ، يا روبرت ، هِيَ القِصَّةُ كامِلَةً . فَهَلْ لَكَ أَنْ تُسامِحَني ؟» وَمَدَّتِ السَّيِّدَةُ نَحْوَ اللّورْد يَدَها لِتُصافِحَهُ .

قالَ اللّورْد : « إِنْ كانَ يُسْعِدُكِ أَنْ أَصْفَحَ عَنْكِ ، فَإِنَّني أَفْعَلُ .» ثُمَّ تَناوَلَ يَدَها مُصافِحاً .

قالَ هُولمز : « وَالآنَ ، ما رَأْيُكُمْ جَميعاً أَنْ تُشارِكوني تَناوُلَ العَشاءِ ؟»

قالَ اللّورْد : « إِنَّكَ تَطْلُبُ مِنّي أَكْثَرَ مِمّا أَحْتَمِلُ . أَتَمَنّى لَكُمْ جَميعاً لَيْلَةً سَعيدَةً .» وَغادَرَ الغُرْفَةَ عَلى عَجَلٍ .

قالَ هُولمز : « سَتَتَناوَلانِ العَشاءَ مَعي ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ يا مولْتن؟»

وَقَبِلَ الزَّوْجانِ دَعْوَةَ هُولمز .

وَعِنْدَما انْصَرَفَ الأَمْريكِيُّ وَزَوْجُهُ ، قُلْتُ لِهُولمز : « أَوْضِحْ مِنْ فَضْلِكَ . كَيْفَ عَرَفْتَ بِنَبَأِ هاتي موران ؟»

قالَ هُولمز : « كانَتْ هاتي سَعيدَةً قَبْلَ الزِّفافِ ، وَعادَتْ إِلى

المَنْزِلِ وَهِيَ شَديدَةُ التَّعاسَةِ . لا بُدَّ أَنْ ثَمَّةَ شَيْئًا قَدْ حَدَثَ قَبْلَ العَوْدَةِ إلى المَنْزِلِ . تَسْأَلُني ما هُوَ ؟ لَقَدْ ذَكَرَ اللّورْد سايْمون شَيْئًا عَنْ رَجُل كانَ قَدْ رَآهُ في حَفْلِ الزِّفافِ . وَقَدْ أَسْقَطَتِ السَّيِّدَةُ الأَزْهارَ الَّتي كانَتْ بَيْنَ يَدَيْها ، فَالْتَقَطَها ذَلِكَ الرَّجُلُ وَأعادَها إلَيْها . إذًا كانَ بِإمْكانِهِ أَنْ يُناوِلَها الوَرَقَةَ المَكْتوبَةَ . وَحينَ عادَتْ إلى المَنْزِلِ تَحَدَّثَتْ إلى أليس . وَسَمِعَ اللّورْد سايْمون شَيْئًا عَنِ ادِّعاءٍ قانونِيٍّ ، وَالأمريكِيّونَ عِنْدَما يُطْلِقونَ هَذا التَّعْبيرَ ، فَإنَّهُمْ يَقْصِدونَ سَلْبَ شَيْءٍ ما مِنْ أَحَدٍ ما . عَلى سَبيلِ المِثالِ ، سايْمون يأخُذُ هاتي مِنْ فرانك ، وَقَدْ هَرَبَتْ هِيَ مَعَ مَنْ تُحِبُّ .»

سَأَلْتُهُ : « لَكِنْ كَيْفَ عَثَرْتَ عَلَيْها ؟»

قالَ : « أَطْلَعَني لِيسْتَزيد عَلى رِسالَةٍ كُتِبَتْ عَلى ظَهْرِها هَذِهِ المُلاحَظاتُ : «« الغُرْفَةُ ٨ شِلِنات، الإفْطارُ ٣ شلنات .»» إذًا فَقَدْ نَزَلَ الرَّجُلُ في واحِدٍ مِنْ أَفْضَلِ فَنادِقِ لندن . وَكَما تَعْرِفُ فَإنَّ عَدَدَ الفَنادِقِ التي تَتَقاضى مِثْلَ هَذِهِ الأجورِ مِنْ نُزَلائِها جِدٌّ قَليلٍ .

وَمَصْدَرُ الرِّسالَةِ هُوَ ف. هـ. م. ؛ لِذا قُمْتُ بِزِياراتٍ سَريعَةٍ لِبَعْض تِلْكَ الفَنادِقِ ، وَنَظَرْتُ في سِجِلاتِ نُزَلائِها . وَلَمْ يَطُلْ بَحْثي حَتّى وَجَدْتُ اسْمَ فرانك هـ. مولْتن ، وَهُوَ رَجُلٌ أَمْريكِيٌّ . وَقَدْ غادَرَ الفُنْدُقَ قَبْلَ يَوْمٍ واحِدٍ فَقَطْ ، وَيُحَوِّلُ الفُنْدُقُ رَسائِلَهُ إلى مَكانِ إقامَتِهِ

الجديدِ في ٢٢٦ مَيْدانُ غوردُن . وَتَوَجَّهْتُ إلى ذَلِكَ المَكانِ فَوَجَدْتُ هُناكَ هـ. مولْتُن فيهِ ، وَبِالطَّبْعِ كانَتْ هاتي دوران مَعَهُ . وَنَصَحْتُهُما بِأنْ يُقابِلا اللّورْد سايْمون هُنا في مَنْزِلي ، كَما طَلَبْتُ إلى اللّورْد أنْ يَحْضُرَ هُوَ الآخَرُ . وَكانَتِ النَّتيجَةُ ما رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ .»

قُلْتُ : « لَمْ تَكُنِ النَّتيجَةُ كُلُّها طَيِّبَةً ؛ إذ كانَ سُلوكُ اللّورْد سايْمون سُلوكًا غَيْرَ لائِقٍ .»

قالَ هُولْمز : « لا تَتَسَرَّعْ ، يا واطْسُن ! ضَعْ نَفْسَكَ مَكانَهُ ؛ لَقَدْ خَسِرَ زَوْجَةً غالِيَةً في الحُسْنِ ، كَما خَسِرَ ثَرْوَةً طائِلَةً . وَلَوْ كُنْتَ مَكانَهُ لَما كانَ تَصَرُّفُكَ أكْثَرَ لِياقَةً مِنْهُ .»

أشْجارُ الزّان النُّحاسِيَّة

ذاتَ صباحٍ في الرَّبيعِ الماضي ، قُمْتُ بِزِيارَةٍ لِصَديقي شِرْلوك هُولْمز . وَبَيْنَما كُنّا نَتَناوَلُ القَهْوَةَ ، وَصَلَتْ إلى مَنْزِلِهِ إحْدى الزّائِراتِ ، وَكانَتْ فَتاةً في غايَةِ الحُسْنِ ، تُدْعى الآنِسَةَ ڤيوليت هَنْتَر .

بادَرَتْ قائِلَةً : « أسْتَمِيحُكَ عُذْرًا ، يا سَيِّدُ هُولْمز ، فَإنَّني أعْلَمُ أنَّكَ رَجُلٌ كَثيرُ الأعْباءِ ، لَكِنَّ أمْرًا غَريبًا حَدَثَ ألْجَأني إلَيْكَ طَلَبًا لِلنَّصيحَةِ . »

قالَ هُولْمز : « تَفَضَّلي بِالجُلوس . إنَّهُ لَيُسْعِدُني أنْ أمُدَّ لَكِ يَدَ العَوْنِ . ماذا يُمْكِنُني أنْ أفْعَلَ لَكِ ؟» وَكانَ واضِحًا أنَّ الزّائِرَةَ قَدْ نَزَلَتْ مِنْ قَلْبِ هُولْمز مَنْزِلاً حَسَنًا .

قالَتْ : « كُنْتُ أعْمَلُ بِالتَّدْريس خِلالَ السَّنَواتِ الخَمْس الماضِيَةِ

لَدي الكولونيل مونْرو ؛ أعَلِّمُ أوْلادَهُ . لَكِنَّه غادَرَ البِلادَ هُوَ وَأوْلادُهُ مُنْذُ شَهْرَيْن ؛ فَصِرْتُ بِدونِ عَمَلٍ . وَبَحَثْتُ عَنْ مَكَانٍ جَديدٍ أعْمَلُ فيهِ ، لَكِنْ دونَ جَدْوى . وَرُحْتُ أتَرَدَّدُ على مَكْتَبٍ لِتَشْغيل المُعَلِّمينَ ، تُديرُهُ في لندن امْرَأةٌ تُدْعى الآنِسَةَ ستوبر . وَكُنْتُ أذْهَبُ إلى ذَلِكَ المَكْتَبِ مَرَّةً كُلَّ أسْبوعٍ دونَ أنْ أحْظى بِما أريدُ ، إلى أنْ كانَ الأسْبوعُ الماضي .

« وَحَدَثَ أنْ كانَ عِنْدَها يَوْمَ زُرْتُها رَجُلٌ بَدينٌ ، أخَذَ يُحَدِّقُ إليَّ بِإمْعانٍ ثُمَّ الْتَفَتَ إلى الآنِسَةِ ستوبر وَقالَ : « هَذِهِ الفَتاةُ مُناسِبَةٌ تَماماً .» ثُمَّ سَألَني : « هَلْ تَبْحَثينَ عَنْ عَمَلٍ ؟»

« أجَبْتُ : « أجَلْ .»

« سَألَ : « كَمْ تَطْلُبينَ ؟»

« قُلْتُ : « كُنْتُ أتَقاضى أرْبَعَةَ جُنَيْهاتٍ شَهْرِيًّا مِنْ آخِرِ عَمَلٍ قُمْتُ بِهِ .»

« قالَ : « لَيْسَ ذَلِكَ بِالكَثيرِ . سَأدْفَعُ لَكِ مِئَةَ جُنَيْهٍ سَنَوِيًّا لِقاءَ تَعْليمِ وَلَدي .»

« لَمْ أكَنْ أمْلِكُ ، يا سَيِّدُ هُولْمز ، مِنَ المالِ ما يُقيمُ أوَدي ، وَها هُوَ ذا رَجُلٌ يَعْرِضُ عَلَيَّ مِئَةَ جُنَيْهٍ سَنَوِيًّا . إنَّهُ عَرْضٌ سَخِيٌّ دونَ

رَيْبٍ . وَلاحَظَ الرَّجُلُ دَهْشَتي فَأخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ بَعْضَ الأوْراقِ النَّقْدِيَّةِ قائِلاً : « هاكِ خَمسينَ جُنَيْهًا ، قَدْ تَحْتاجينَ إلَيْها لِشِراءِ بَعْض المَلابِسِ .»

« كانَ مَظْهَرُ الرَّجُل يَدُلُّ عَلى حُسْنِ خُلُقٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيَّ حَتّى ما يَسُدُّ رَمَقي . لَكِنّي تَساءَلْتُ : لِماذا يَدْفَعُ لي بِهَذا السَّخاءِ؟ وَقَرَّرْتُ أنْ أسْتَفْسِرَ عَنْ بَعْضِ الأشْياءِ ، فَسَأَلْتُهُ : « أيْنَ تَقْطُنُ ، يا سَيِّدي ؟»

« أجابَ : « في مَنْزِلٍ يُدْعى (أشْجَارُ الزّان النُّحاسِيَّةُ) وَيَقَعُ عَلى بُعْد ثَماني كيلومِتْراتٍ مِنْ وينشستر .»

« سَأَلْتُ : « ما طَبيعَةُ العَمَلِ الَّذي سَأقومُ بِهِ ؟»

« أجابَ : « لِيَ ابْنٌ في السّادِسَةِ ، أريدُكَ أنْ تُعْنَيْ بِهِ وَتعَلِّميهِ . وَقَدْ تَطْلُبُ مِنْكِ زَوْجَتي بَعْضَ الأمورِ اليَسيرَةِ ، مِنْها أنَّها قَدْ تُقَدِّمُ لَكِ في بَعْضِ الأحْيانِ ثَوْبًا تَطْلُبُ مِنْكِ ارْتِداءَهُ ، فَهَلْ تَفْعَلينَ ؟»

« قُلْتُ : « بِالتَّأكيدِ .»

« قالَ : « وَتَطْلُبُ مِنْكِ أحْيانًا أنْ تَجْلِسي عِنْدَ الشُّرْفَةِ ، فَهَلْ تُلَبّينَ ذَلِكَ أيْضًا ؟»

« أجَبْتُ : « أجَلْ .»

« قالَ : «« سَوْفَ يَكونُ عَلَيْكِ أنْ تُقَصِّري شَعْرَكِ .»

أرْدَفَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر تُخاطِبُ هُولْمز : « أنْتَ تَرَى أنَّ شَعْرِيَ طَويلٌ، وَأنا لا أرْغَبُ في تَقْصيرِه ؛ لِذا أجَبْتُ الرَّجُلَ قائِلَةً : «« يُؤسِفُني ألا أسْتَطيعَ ؛ فَأنا لا أحِبُّ الشَّعْرَ القَصيرَ .»

« قالَ الرَّجُلُ : «« لَكِنَّ زَوْجَتي لا تُحِبُّ الشَّعْرَ الطَّويلَ . لا بُدَّ أنْ تُقَصِّريهِ .»

« أجَبْتُ : «« لا ، لَنْ أفْعَلَ ، يا سَيِّدي .»

« قالَ : «« إذًا ، لَنْ أتَمَكَّنَ مِنْ إسْنادِ العَمَلِ إلَيْكِ . إنَّني جِدُّ آسِفٍ .»

« وَاسْتَدارَ نَحْوَ الآنِسَةِ ستوير قائِلاً : «« لَعَلَّ مِنَ الأفْضَلِ أنْ نَرى غَيْرَهَا مِنَ الفَتَياتِ .»

« وَحَدَجَتْني الآنِسَةُ ستوير بِنَظْرَةٍ غاضِبَةٍ وَسَألَتْني : «« هَلْ تُفَضِّلينَ البَقاءَ في سِجِلّاتي إنْسانًا بِلا عَمَلٍ ؟»

« قُلْتُ : «« لا ، بِالطَّبْعِ .»

« قالَتْ : «« إذًا ، لِماذا تَرْفُضينَ عَرْضًا سَخِيًّا كَهَذا ؟ وَداعًا ، يا آنِسَةُ .»

« وَعُدْتُ إلى المَنْزِلِ دونَ طَعامٍ ، وَدونَ نُقودٍ . تُرى هَلِ ارْتَكَبْتُ خَطَأً بِرَفْضِ هَذا العَرْضِ ، ياسَيِّدي ؟ لَقَدْ بَدا لي هَذا الرَّجُلُ وَزَوْجَتُهُ غَيْرَ طَبيعِيَّيْنِ في طَلَبِهِما ، رَغْمَ كَوْنِهِما سَيَدْفَعانِ لي مَبْلَغاً كَبيراً حَقًّا . وَلَكِنْ ما فائِدَةُ شَعْري الطَّويلِ ؟ إنَّهُ لَنْ يَشْتَرِيَ لي طَعاماً ! مَنْ يَدْري ؛ لَعَلّي ارْتَكَبْتُ خَطَأً فادِحاً . وَفي اليَوْمِ التّالي وَصَلَتْني مِنَ الرَّجُلِ الرِّسالَةُ التّالِيَةُ :

« أشْجارُ الزّان النُّحاسِيَّةُ ، بِالقُرْبِ مِنْ وينشستر .

الآنِسَةُ العَزيزَةُ هَنْتَر ، أعْطَتْني الآنِسَةُ ستوبر عُنْوانَكِ . العَمَلُ لا يَزالُ شاغِراً . أما زِلْتِ تَوَدّينَ القِيامَ بِهِ ؟ سَأَدْفَعُ لَكِ مِئَةً وَعِشْرينَ جُنَيْهاً سَنَوِيًّا ، وَهُوَ لَيْسَ عَمَلاً شاقًّا . أحْياناً سَتَطْلُبُ مِنْكِ زَوْجَتي ارْتِداءَ ثَوْبٍ أزْرَقَ لِبَعْضِ الوَقْتِ . كانَ الثَّوْبُ – ذاتَ يَوْمٍ – لابْنَتِنا أليس . إنَّها الآنَ تَعيشُ في أمْريكا . سَوْفَ تَطْلُبُ مِنْكِ زَوْجَتي أيْضاً الجُلوسَ في الشُّرْفَةِ . وَكَما تَرَيْنَ لَيْسَ ذَلِكَ بِالعَمَلِ الصَّعْبِ . لَكِنْ لا بُدَّ مِنْ أنْ تُقَصِّري شَعْرَكِ . أنا أعْلَمُ أنَّكِ تَوَدّينَ الإبْقاءَ عَلَيْهِ طَويلاً ؛ لِذا فَأنا أدْفَعُ لَكِ هَذِهِ الزِّيادَةَ مُقابِلَ ذَلِكَ . أرْجو أنْ تَقْبَلي العَمَلَ لَدَيْنا . سَوْفَ أنْتَظِرُكِ عِنْدَ مَحَطَّةِ وينشستر . اكْتُبي وَأعْلِميني عَنْ مَوْعِدِ وُصولِ قِطارِكِ .

المُخْلِصُ

« جفرو روكاسل »

« تِلْكَ ، يا سَيِّدي ، هِيَ الرِّسالَةُ . إنَّ بي رَغْبَةً في قَبولِ هَذا العَمَلِ ، وَأريدُ نَصيحَتَكَ .»

قالَ هُولْمز : « حَسَنٌ ، ما دُمْتِ تَرْغَبينَ في العَمَلِ فَإنَّ عَلَيْكِ أنْ تَتَّخِذي قَرارَكِ بِنَفْسِكِ . وَلَوْ كُنْتِ شَقيقَتي لَما نَصَحْتُكِ بِقَبولِهِ . لَكِنَّكِ لَسْتِ بِأخْتي عَلى أيَّةِ حالٍ . ما رَأيُكِ أنْتِ في السَّيِّدِ روكاسل وَزَوْجَتِهِ ؟»

رَدَّتِ الآنِسَةُ : « روكاسل رَجُلٌ عَطوفٌ عَلى ما يَبْدو . لَكِنْ يَبْدو أنَّ زَوْجَتَهُ لَيْسَتْ عَلى ما يُرامُ .»

قالَ هُولْمز : « رُبَّما تَكونينَ عَلى صَوابٍ . لَكِنَّ هَذا العَمَلَ لا يُناسِبُ فَتاةً في مِثْلِ سِنِّكِ .»

قالَتْ : « لَكِنَّهُمْ سَيَدْفَعونَ لي أجْرًا سَخِيًّا ، يا سَيِّدُ هُولْمز .»

قالَ هُولْمز : « إنَّ ما سَيَدْفَعونَهُ أكْثَرُ مِمّا يَنْبَغي ؛ فَلِمَ يَدْفَعونَ مِئَةً وَعِشْرينَ جُنَيْهًا في العامِ ؟ بِإمْكانِهِمْ أنْ يَجِدُوا مَنْ يَقومُ بِالعَمَلِ لِقاءَ أرْبَعينَ جُنَيْهًا . لا بُدَّ أنَّ في الأمْرِ سِرًّا يَدْفَعُهُمْ إلى ذَلِكَ .»

قالَتِ الآنِسَةُ : « لَكِنَّني – رَغْمَ ذَلِكَ – راغِبَةٌ في العَمَلِ ، يا سَيِّدي .»

قالَ هُولْمز : « ما دامَ الأمْرُ كَذَلِكِ فَأنْتِ وَشَأنُكِ . وَإذا وَجَدْتِ

نَفْسَكُ – ذاتَ يَوْمٍ – في خَطَرٍ ...»

قاطَعَتْهُ الفَتاةُ بِدَهْشَةٍ : « في خَطَرٍ ؟ هَلْ سَيَكونُ في العَمَل خُطورَةٌ ؟»

قالَ هُولْمز : « لا أدْري . لكِنَّني سَأكونُ في خِدْمَتِكِ في أيِّ وَقْتٍ تَسْتَدْعينَني فيهِ . أبْرِقي إليَّ عِنْدَما تَحْتاجينَ إلى مُساعَدَتي .»

قالَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر : « أشكُرُ لَكَ حُسْنَ تَعاطُفِكَ مَعي ، وَأشْعُرُ بِأنَّني الآنَ أسْعَدُ حالاً مِنْ ذي قَبْلٍ . سَأكْتُبُ إلى السَّيِّدِ رُوكاسل في الحالِ وَسَأقُصُّ شَعْري اللَّيْلَةَ .» وَوَدَّعَتْنا وَانْصَرَفَتْ .

قُلْتُ : « يا لَها مِنْ فَتاةٍ لَطيفَةٍ !»

قالَ هُولْمز : « هَذا صَحيحٌ ، وَسَوْفَ نَراها ثانِيَةً في القَريبِ العاجِلِ .»

وَبَعْدَ أسْبوعَيْنِ أراني هُولْمز بَرْقِيَّةً وَصَلَتْهُ لِتَوِّها مِنْ وينشستر ، هَذا نَصُّها :

« أرْجو أنْ تَحْضُرَ ظُهْرَ الغَدِ إلى فُنْدُقِ سوان في وينشستر ؛ فَالأمْرُ جِدٌّ مُهِمٌّ .»

« ڤيوليت هَنْتَر »

سَأَلَني هُولمز : « هَلْ تُرافِقُني ، يا واطْسُن ؟»

أجَبْتُ : « طَبْعًا .»

قالَ هُولمز : « ثَمَّ قِطارٌ في التّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ ، وَهُوَ يَصِلُ وِينشستر في الحادِيَةَ عَشْرَةَ وَالنِّصْفِ .»

وَفي اليَوْمِ التّالي وَصَلْنا وينشستر ، وَتَوَجَّهْنا إلى فُنْدُقِ سوان . وَكانَتِ الآنِسَةُ هنْتَر بانْتِظارِنا هُناكَ ، وَقَدْ طَلَبَتْ لَنا وَجْبَةَ غَداءٍ ، فَجَلَسْنا لِتَناوُلِها .

قالَتْ : « يَسُرُّني أنْ أراكُما ؛ فَأنا لا أدْري ما أفْعَلُ ! أريدُ نَصيحَتَكُما .»

سَأَلَها هُولمز : « ماذا حَدَثَ ؟»

قالَتْ : « عَلَيَّ أنْ أسْرِعَ في الحَديثِ ، فَيَجِبُ أنْ أعودَ قَبْلَ الثّالِثَةِ . إنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلوا ما يَريبُ ، وَهُمْ لَيْسوا قُساةً . إنَّ الأمْرَ خِلافُ ذَلِكَ . لَكِنَّني خائِفَةٌ ، خائِفَةٌ جِدًّا . عِنْدَما وَصَلْتُ اسْتَقْبَلَني السَّيِّدُ روكاسل . وَمَضَيْنا بِسَيّارَتِهِ إلى مَنْزِلِهِ (أشْجارُ الزّانِ النُّحاسِيَّةُ) إنَّهُ مَنْزِلٌ كبيرٌ مُرَبَّعُ الشَّكْلِ ، أمامَهُ حَقْلٌ يَصِلُ إلى طَريق ساوثهامپتون . وَالمسافَةُ بَيْنَ المَنْزِلِ وَطَريقِ ساوثهامپتون ثَمانُونَ مِتْرًا . وَكانَ هُناكَ بَعْضُ أشْجارِ الزّانِ النُّحاسِيَّةِ اللَّوْنِ أمامَ المَنْزِلِ اكْتَسَبَ

منْها المنْزِلُ اسْمَهْ . وَكانَ السَّيِّدُ روكاسل بالغَ اللُّطْفِ مَعي ، وَقَدِ الْتَقَيْتُ وَزَوْجَتَهُ وَابْنَهُ . وَهِيَ لَيْسَتْ مَريضَةً كَما ظَنَنْتُ . إنَّها امْرَأَةٌ هادِئَةٌ تَماماً ، مَضى عَلى زَواجِها بِالسَّيِّدِ روكاسل سَبْعُ سَنَواتٍ تَقْريباً . إنَّهُ زَواجُهُ الثّاني . وَلِلسَّيِّدِ روكاسل ابْنَةٌ مِنْ زَواجِهِ الأوَّلِ ، وَهِيَ في العِشْرينَ مِنْ عُمْرِها ، وَتَعيشُ في أمْريكا . وَيَقولُ السَّيِّدُ روكاسل إنَّها ذَهَبَتْ إلى أمْريكا ؛ لأنَّها لَمْ تأتَلِفْ مَعَ زَوْجَتِهِ الثّانِيَةِ . و روكاسل لطيفٌ مَعَ زَوْجَتِهِ ، وَلَكِنْ ثَمَّةَ شَيْءٌ لَيْسَ عَلى ما يُرامُ في حَياةِ السَّيِّدَةِ . إنَّها حَزينَةٌ دائِماً ، وَكَثيراً ما أراها تَبْكي .

« وَيُقيمُ في المَنْزِلِ زَوْجانِ آخَرانِ يَعْمَلانِ في خِدْمَةِ آلِ روكاسل، هُما السَّيِّدُ تولر وَزَوْجَتُه . وَلَمْ يَكونا عَلى وِفاقٍ مَعي ، وَأنا لَمْ أُحِبُّهُما . وَلَمْ يَحْدُثْ ما يَلْفِتُ النَّظَرَ خِلالَ اليَوْمَيْنِ الأوَّلَيْنِ . وَفي اليَوْمِ الثّالِثِ نَزَلَتِ السَّيِّدَةُ روكاسل لِتَناوُلِ طَعامِ الإفْطارِ ، وَهَمَسَتْ بِشَيْءٍ ما لِزَوْجِها ؛ فَتَوَجَّهَ نَحْوي قائِلاً : «« آنِسَةُ هَنْتَر ، إنَّ زَوْجَتي تَرْغَبُ في أنْ تَراكِ وَأنْتِ مُرْتَدِيَةٌ الثَّوْبَ الأزْرَقَ . إنَّهُ عَلى الفِراشِ في حُجْرَتِكِ ؛ فَهَلّا فَعَلْتِ ؟»»

« كانَ الثَّوْبُ الأزْرَقُ عَلى فِراشي . لَمْ يَكُنْ جَديداً ، لَكِنَّهُ كانَ جَيِّدَ الخامَةِ وَالصُّنْعِ ، وَيَبْدو أنَّ أحَداً قَدْ لَبِسَهُ قَبْلي . وَارْتَدَيْتُ الثَّوْبَ

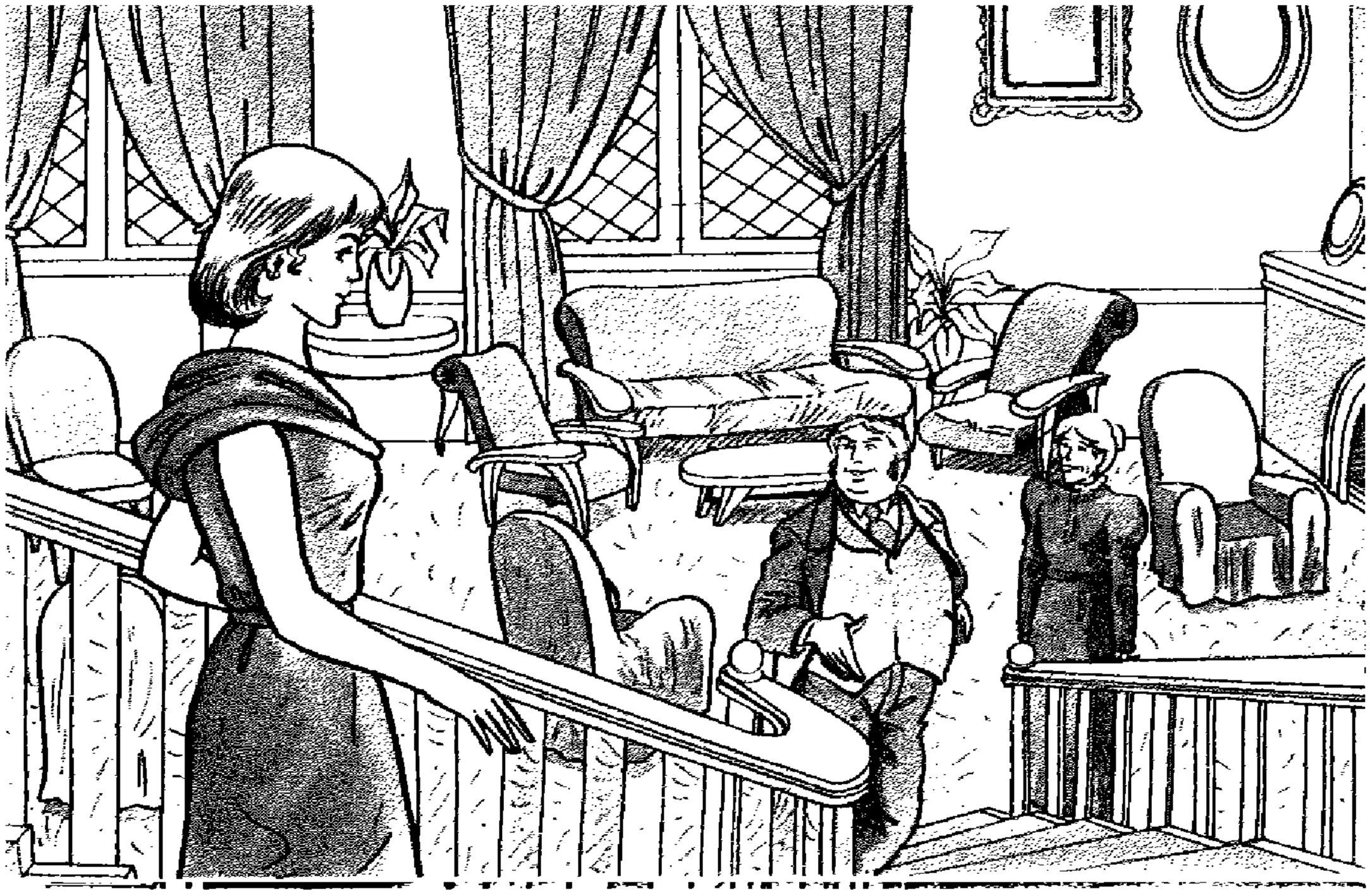

الّذي ناسبَني ، ونَزَلْتُ إلى الطّابقِ السُّفْلِيِّ مِنَ المَنْزِلِ . وَسَرَّ مَنْظَري في الثَّوبِ الأَزْرَقِ السَّيِّدَ روكاسل وَزَوْجَتَهُ . وَكُنّا نَجْلِسُ في غُرْفَةٍ ذَاتِ شُرْفَةٍ واسِعَةٍ تُطِلُّ عَلى الطَّريقِ . وَكانَتْ عِنْدَ الشُّرْفَةِ أريكَةٌ ، وَطَلَبَتْ مِنّي السَّيِّدَةُ روكاسل أنْ أَنْتَقِلَ إلَيْها . أمّا السَّيِّدُ روكاسل فَراحَ يَحْكي لي الحِكاياتِ المُسَلِّيَةَ الهَزْلِيَّةَ ، وَكُنْتُ أَضْحَكُ ضَحِكاً مُتَواصِلاً . لَكِنَّ السَّيِّدَةَ لَمْ تَكُنْ تَضْحَكُ ، بَلْ ظَلَّتْ عَلى حُزْنِها . وَبَعْدَ ساعَةٍ تَقْريباً تَوَقَّفَ السَّيِّدُ روكاسل فَجْأَةً عَنِ الكَلامِ ، وَطَلَبَ مِنّي أنْ أُبَدِّلَ ثَوْبي .

« بَعْدَ يَوْمَيْنِ حَدَثَ الأَمْرُ ذَاتُهُ ، لَبِسْتُ الثَّوْبَ الأَزْرَقَ ، وَجَلَسْتُ عِنْدَ الشُّرْفَةِ ، وَرَوى لِيَ السَّيِّدُ روكاسل حِكاياتٍ مُضْحِكَةً ، ثُمَّ

أعْطاني كِتاباً ، وَطَلَبَ مِنّي أنْ أقْرَأَ لَهُ . قَرَأتُ لَهُ مِنَ الكِتاب مُدَّةَ عَشْرِ دَقائِقَ ، لَكِنَّهُ طَلَبَ مِنّي فَجْأَةً أنْ أكُفَّ عَنِ القِراءَةِ . وَدَهِشْتُ مِنْ تَصَرُّفِهِ دَهْشَةً بالِغَةً ؛ لأنَّني كُنْتُ في مُنْتَصَفِ إحْدى الجُمَلِ .

« كانَ عَلَيَّ دائِماً أنْ أجْلِسَ وَظَهْري إلى الشُّرْفَةِ ، وَكُنْتُ أتَساءَلُ : تُرى هَلْ كانَ يَحْدُثُ شَيْءٌ وَراءَ ظَهْري خارِجَ المَنْزِلِ ؟ وَخَطَرَتْ لي فِكْرَةٌ ، فَجِئْتُ في اليَوْمِ التّالي مَعي بِمِرْآةٍ صَغيرَةٍ وَأخْفَيْتُها داخِلَ مِنْديلي . وَكانَ السَّيِّدُ روكاسل ماضِياً في رِوايَةِ حِكاياتِهِ الهَزْلِيَّةِ ، وَكُنْتُ أضْحَكُ مِنْها ضَحِكاً مُتَواصِلاً . وَرَفَعْتُ مِنْديلي إلى عَيْنَيَّ ، وَنَظَرْتُ في المِرْآةِ ؛ فَإذا بي أرى رَجُلاً يَقِفُ وَرائي عَلى الطَّريقِ ، وَيَنْظُرُ بِاتِّجاهِ المَنْزِلِ . كانَ ضَئيلَ الجِسْمِ ، وَيَرْتَدي حُلَّةً رَماديَّةَ اللَّوْنِ . وَاكْتَشَفَتِ السَّيِّدَةُ روكاسل وُجودَ المِرْآةِ ، فَقالَتْ مُخاطِبَةً زَوْجَها : « جِفْرو ، هُناكَ رَجُلٌ عَلى الطَّريقِ أمامَ المَنْزِلِ يُحَدِّقُ صَوْبَ الآنِسَةِ هَنْتَر . »

« سَأَلَني السَّيِّدُ روكاسل : « أ هُوَ أحَدُ أصْدِقائِكِ ، يا آنِسَةُ ؟ »

« قُلْتُ : « لا ، أنا لا أعْرِفُ أحَداً هُنا . »

« قالَ : « إذاً ، أشيري إلَيْهِ أنْ يَنْصَرِفَ . »

« فَعَلْتُ ما أمَرَني بِهِ ، ثُمَّ طَلَبَتْ مِنّي السَّيِّدَةُ روكاسل أنْ أغادِرَ

الغُرْفَةَ . وَكانَ ذَلِكَ مُنْذُ أسْبوعٍ ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الحينِ لَمْ أُرْتَدِ الثَّوْبَ الأَزْرَقَ ، وَلَمْ أَجْلِسْ عِنْدَ الشُّرْفَةِ ، كَما لَمْ أَرَ الرَّجُلَ الضَّئِيلَ عَلى الطَّريقِ .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ لاحَظْتِ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ ؟»

تَابَعَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر حَديثَها قائِلَةً : « أَجَلْ ، يا سَيِّدي ، كانَ هُناكَ بِناءٌ صَغيرٌ لَهُ شُرْفَةٌ ضَيِّقَةٌ قُرْبَ المَنْزِلِ ، أَذْكُرُ أَنَّ السَّيِّدَ روكاسل قَدْ أَراني إِيَّاهُ ذاتَ مَرَّةٍ ، وَقالَ : «« انْظُري عَبْرَ الشُّرْفَةِ .»»

« وَنَظَرْتُ ، فَإِذا بي أَرى كَلْبًا أَسْوَدَ ضَخْمَ الحَجْمِ جِدًّا .

« قالَ السَّيِّدُ روكاسل : «« لا تَخافي ! إِنَّهُ كَلْبي ، كارلو ، وَهُوَ مُتَوَحِّشٌ جِدًّا ، وَلَيْسَ هُناكَ مَنْ يَسْتَطيعُ التَّعامُلَ مَعَهُ سِوى السَّيِّدِ تولَر . إِنَّهُ يَرْبُطُهُ في الحَديقَةِ أَثْناءَ اللَّيْلِ ؛ فَلا يَجْرؤ أَحَدٌ عَلى الاقْتِرابِ مِنَ المَنْزِلِ . وَلَوْ تَوَرَّطَ أَحَدٌ وَاقْتَرَبَ مِنَ المَنْزِلِ فَإِنَّ كارلو سَوْفَ يُمَزِّقُهُ شَرَّ مُمَزَّقٍ في الحالِ . لا تُغادِري المَنْزِلَ في اللَّيْلِ ، وَأَقُولُ هَذا حِرْصًا عَلى سَلامَتِكِ ، يا آنِسَةُ هَنْتَرْ .»»

« اكْتَشَفْتُ أَمْرًا آخَرَ ؛ كُنْتُ ذاتَ مَساءٍ في حُجْرَتي ، أَخْلَعُ ثِيابي ، وَكُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ مَكانٍ أَضَعُها فيهِ ، وَكانَتْ حُجْرَتي ، بِهَذِهِ المُناسَبَةِ ، هِيَ حُجْرَةَ الآنِسَةِ روكاسل ، فَإِذا بي أَجِدُ بَعْضَ

الملابسِ الَّتي أعْتَقِدُ أنَّها كانَتْ تَخُصُّها ، وَقَدْ وَجَدْتُ تَحْتَ الملابسِ خَصْلَةً كَبيرَةً مِنَ الشَّعْرِ . خُيِّلَ لي بادِئَ الأمْرِ أنَّهُ مِنْ شَعْرِي ؛ فَقَدْ كانَ مِنَ اللَّوْنِ ذاتِه ، وَكُنْتُ حينَ قَصَّرْتُ شَعْري أحْتَفِظُ بِما قَصَصْتُهُ مِنْهُ ، فَنَظَرْتُ في حَقيبَتي فَإذا بِهِ لا يَزالُ حَيْثُ وَضَعْتُهُ فيها ، وَقارَنْتُ بَيْنَ الخَصْلَتَيْنِ فَاتَّضَحَ لي أنَّهُما مِنْ لَوْنٍ واحِدٍ .

« وَهُناكَ أيْضاً حكايَةُ الطّابَقِ العُلْوِيِّ مِنَ المَنْزِلِ ؛ فَحُجُراتُ هَذا الطّابَقِ غَيْرُ مَشْغولَةٍ ، وَالسَّيِّدُ تولَر وَزَوْجَتُهُ يَعيشانِ في طابَقٍ دونَ الطّابَقِ العُلْوِيِّ ، وَالبابُ الَّذي يُؤَدّي إلى الطّابَقِ العُلْوِيِّ مُغْلَقٌ دائِماً. وَرَأيْتُ ذاتَ مَرَّةٍ السَّيِّدَ روكاسل يَخْرُجُ مِنْ هَذا البابِ وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ غَضَبٌ شَديدٌ . وَدَخَلْتُ إلى الحَديقَةِ مَرَّةً وَنَظَرْتُ إلى شُرُفاتِ الطّابَقِ العُلْوِيِّ ، فَإذا بي أرى عَلى إحْداها أَلْواحاً تَحْجُبُ ما بِداخِلِها . وَرآني السَّيِّدُ روكاسل وَقْتَها في الحَديقَةِ ، فَسَأَلَني : « ماذا تَفْعَلينَ هُنا ؟»

« قُلْتُ : « لَقَدْ رَأَيْتُ تِلْكَ النّافِذَةَ لِتَوّي . إنَّ عَلَيْها أَلْواحاً .»

« قالَ السَّيِّدُ روكاسل : « نَعَمْ ، إنَّني أَلْتَقِطُ بَعْضَ الصُّوَرِ أحْياناً ، وَأعالِجُها فِي تِلْكَ الغُرْفَةِ .»

« أظُنُّ أنَّهُ يَكْذِبُ ، يا سَيِّدي . وَرَغِبْتُ في رُؤيَةِ الغُرْفَةِ بِنَفْسي ،

وَقَدْ تَيَسَّرَ لي ذَلِكَ أَمْسِ . لَقَدْ خَرَجَ السَّيِّدُ تولَر وَزَوْجَتُهُ مَعَ الصَّبِيِّ، وَنَسِيا أَنْ يُغْلِقا البابَ المُؤَدِّيَ إلى الطَّابَقِ الأَعْلى ؛ فَصَعِدْتُ الدَّرَجَ ، وَرَأَيْتُ أَنَّ جَميعَ الحُجُراتِ كانَتْ مَفْتُوحَةً إلّا واحِدَةً . وَحاوَلْتُ دَفْعَ البابِ فَلَمْ يَنْفَتِحْ ، ثُمَّ سَمِعْتُ حَرَكَةً داخِلَ الغُرْفَةِ . لا بُدَّ أَنَّ هُناكَ مَنْ يُقيمُ في هَذِهِ الحُجْرَةِ . وَشَعَرْتُ بِالخَوْفِ ، وَانْدَفَعْتُ أَنْزِلُ الدَّرَجَ مُسْرِعَةً ، فَإِذا بِالسَّيِّدِ روكاسِل يَقِفُ لي عِنْدَ نِهايَةِ الدَّرَجِ . وَكانَ بادِيَ الغَضَبِ ، فَسَأَلَني : « ماذا كُنْتِ تَفْعَلينَ ؟»

« قُلْتُ : « كُنْتُ أُلْقي نَظْرَةً عَلى المَنْزِلِ . المَكانُ بِأَعْلى مُوْحِشٌ إلى حَدٍّ كَبير !»

« قالَ : « لِماذا تَعْتَقِدينَ أَنَّنا نُبْقي هَذا البابَ مُغْلَقًا دائِمًا ؟»

« أَجَبْتُ : « لا أَدْري .»

« قالَ : « لِكَيْ لا يَقْتَرِبَ أَحَدٌ مِنْهُ .»

« قُلْتُ : « لَوْ أَنَّني عَرَفْتُ ...»

قاطَعَني صائِحًا : « حَسَنٌ ، أَنْتِ تَعْرِفينَ الآنَ . لا تَدْخُلي هَذا المَكانَ ثانِيَةً . إِنَّكِ إِنْ تَفْعَلي أُلْقِ بِكِ إلى الكَلْبِ !»

« وَهُرِعْتُ إلى غُرْفَتي ، وَكُنْتُ في حالَةِ خَوْفٍ شَديدٍ . وَفَكَّرْتُ

فيكَ ، يا سَيِّدُ هُولْمز ، فَقَدِ احْتَجْتُ إلى مُساعَدَتِكَ . لَقَدْ مَلأني البَيْتُ بِالذُّعْرِ ، كَما أخافَني كُلُّ مَنْ في البَيْتِ ، وَبِخاصَّةٍ السَّيِّدُ روكاسل وَالسَّيِّدُ تولَر وَزَوْجَتُهُ . وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ ما يَمْنَعُ عَوْدَتي إلى لَنْدَن ، لَكِنَّ شَيْئًا ما كانَ عَلى غَيْرِ ما يُرامُ في المَنْزِلِ . ما سِرُّ حُجْرَةِ الطَّابَقِ العُلْوِيِّ ؟ إنَّ أَقْرَبَ قَرْيَةٍ إلى المَنْزِلِ تَبْعُدُ حَوالى كيلو مِتْرَيْن عَنْهُ ؛ لِذا تَوَجَّهْتُ إلى تِلْكَ القَرْيَةِ وَأَبْرَقْتُ إلَيْكَ . وَقَدْ حَضَرْتُ إلى هُنا صَباحَ هَذا اليَوْم ، وَعَلَيَّ أنْ أعودَ قَبْلَ السّاعَةِ الثّالِثَةِ مِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ ؛ لأنَّ السَّيِّدَ روكاسل وَزَوْجَتَهُ سَوْفَ يَقومانِ بِزِيارَةِ بَعْض أصْدِقائِهِما وَسَوْفَ يُمَضّونَ الأمْسِيَّةَ عِنْدَهُمْ ، وَعَلَيَّ أنْ أعْنى بِالصَّبِيِّ أثْناءَ غِيابِهِما . ماذا أفْعَلُ ؟»

نَهَضَ هُولْمز عَنْ كُرْسِيِّهِ وَراحَ يَذْرَعُ الغُرْفَةَ جيئَةً وَذِهابًا ، ثُمَّ سَأَلَ الآنِسَةَ هَنْتَر : « أيْنَ سَيَكونُ السَّيِّدُ تولَر هَذا المَساءَ ؟»

أجابَتْ : « في الطَّريق إلى القَرْيَةِ . إنَّهُ يَعودُ حَوالى السّاعَةِ الثّامِنَة .»

قالَ هُولْمز : « سَيَكونُ السَّيِّدُ روكاسل وَزَوْجَتُهُ خارِجَ المَنْزِلِ أيْضًا ؟ هَذا يَعْني أنَّ السَّيِّدَةَ تولَر ستَكونُ في المَنْزِلِ وَحْدَها . هَلْ لِلمَنْزِلِ قَبْوٌ ؟»

قالَتِ الآنِسَةُ : « أجَلْ .»

قالَ هُولمز : « لَقَدْ أثْبَتَّ أنَّكِ غايَةٌ في الشَّجاعَةِ . هَلْ تَسْتَطيعينَ المَزيدَ ؟»

أجابَتِ الآنِسَةُ : « سَوْفَ أحاوِلُ . ماذا تُريدُني أنْ أفْعَلَ ؟»

قالَ هُولمز : « سَوْفَ أحْضُرُ إلى مَنْزِلِ (أشْجار الزّان النُّحاسِيَّة)، مَعَ واطْسُن ، في تَمامِ السّاعَةِ السّابِعَةِ . وَسَتَكونُ السَّيِّدَةُ تولَر وَحْدَها في المَنْزِلِ . اطْلُبي إلَيْها إخْراجَ شَيْءٍ ما مِن القَبْو ثُمَّ احْبِسيها فيهِ .»

قالَتِ الآنِسَةُ : « سَأفْعَلُ ما تُريدُ .»

قالَ هُولمز : « سَوْفَ نَعْرِفُ في الحالِ سِرَّ حُجْرَةِ الطّابَقِ العُلْوِيِّ . إنَّني أعْرِفُ الآنَ شَيْئًا عَنْ هَذا السِّرِّ . لَقَدْ أحْضَروكِ إلى المَنْزِلِ لِتَحُلّي مَحَلَّ أحَدٍ . إنَّ مَنْ تَحُلّينَ مَحَلَّهُ مَوْجودٌ في حُجْرَةِ الطّابَقِ العُلْوِيِّ ذاتِ الألْواحِ .»

سَألَتِ الآنِسَةُ هنتر : « مَنْ عَساهُ يَكونُ ، يا سَيِّدي ؟»

أجابَ هُولمز : « أعْتَقِدُ أنَّها أليس ابْنَةُ السَّيِّدِ روكاسل . يَقولُ إنَّها في أمْريكا ، وَلَكِنَّني لا أعْتَقِدُ ذَلِكَ . لَقَدْ اخْتارَكِ لأنَّكِ تُشْبِهينَها تَماماً . إنَّ الشَّعْرَ الَّذي وَجَدْتِهِ تَحْتَ المَلابِسِ هَوَ شَعْرُها ، وَهُوَ بِلَوْنِ شَعْرِكِ ، وَالرَّجُلَ الَّذي رَأيْتِهِ عَلى الطَّريقِ قَدْ يَكونُ صَديقَ أليس ، وَرُبَّما كانَ راغِباً في الزَّواجِ بِها . لَقَدْ طَلَبوا مِنْكِ أنْ تَرْتَدي ثَوْبَ

أليس وَتَجْلِسي عِنْدَ الشُّرْفَةِ عَلى حينَ يَرْوي لَكِ السَّيِّدُ روكاسل الحِكاياتِ المُسَلِّيَةَ المُضْحِكَةَ ، وَكُنْتِ تَضْحَكينَ لَها ، وَكانَ صَديقُ أليس يَرى ذَلِكَ . ثُمَّ طَلَبوا إِلَيْكِ صَرْفَهُ ؛ وَبِهذا اعْتَقَدَ الرَّجُلُ أَنَّ أليس لَمْ تَعُدْ تُحِبُّهُ . وَهُوَ لا يَسْتَطيعُ التَّحَدُّثَ إِلَيْها مُباشَرَةً لأَنَّ الكَلْبَ يَحْرُسُ المَنْزِلَ في اللَّيْلِ .»

صاحَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر : « أَعْتَقِدُ أَنَّكَ عَلى صَوابٍ ، يا سَيِّدي . عَلَيْنا أَنْ نُساعِدَ تِلْكَ الفَتاةَ المِسْكينَةَ .»

وَ وَصَلْنا ذَلِكَ المَساءَ إِلى مَنْزِلِ (أَشْجارِ الزّان النُّحاسِيَّةِ) في تَمام السّابِعَةِ ، وَكانَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر بِانْتِظارِنا .

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ فَعَلْتِ ما طَلَبْتُهُ مِنْكِ ؟»

قالَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر : « أَجَلْ ، إِنَّ السَّيِّدَةَ تولَر في قَبْوِ المَنْزِلِ الآنَ ، وَلَيْسَ بِمَقْدورِها فَتْحُ البابِ . عَلَيْنا أَنْ نُسْرِعَ ؛ لأَنَّ تولَر قَدْ يَكونُ في طَريقِ العَوْدَةِ الآنَ .»

صَعِدْنا إِلى الطّابَقِ العُلْوِيِّ ، وَدَلَّتْنا الآنِسَةُ هَنْتَر عَلى الحُجْرَةِ المُغْلَقَةِ ، وَكانَ بابُها مُغْلَقًا .

قالَ هُولْمز : « آمُلُ أَنْ لا يَكونَ الأَوانُ قَدْ فاتَ ، فَأَنا لا أَسْمَعُ شَيْئًا يَصْدُرُ عَنْ الحُجْرَةِ . أَعِنّي ، يا واطْسُن .»

وَأعَنْتُهُ عَلى دَفْعِ البابِ ؛ فَانْفَتَحَ في الحالِ . لَمْ يَكُنْ في الحُجْرَةِ أحَدٌ ، وَكانَتْ لَها في السَّقْفِ نافِذَةٌ ، وَكانَتْ مَفْتوحَةً .

قالَ هولْمز : « لَقَدْ أخَذَها أبوها .»

قالَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر : « لَكِنْ كَيْفَ ؟»

وَارْتَقى هُولْمز مِنْضَدَةً كانَتْ في الحُجْرَةِ ، وَنَظَرَ عَبْرَ الشُّرْفَةِ ثُمَّ قالَ : « أرى سُلَّماً مُسْنَداً إلى السَّقْفِ .»

قالَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر : « ذَلِكَ أمْرٌ غَريبٌ . لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ سُلَّمٌ عِنْدَما غادَرَ السَّيِّدُ روكاسل .»

قالَ هُولْمز : « أنْصِتي قَليلاً ! هُناكَ مَنْ يَصْعَدُ الدَّرَجَ . قَدْ يَكونُ السَّيِّدَ روكاسل . مُسَدَّسُكَ مَعَكَ ، يا واطْسُن ، فَكُنْ مُسْتَعِدًّا . قَدْ يَكونُ الرَّجُلُ خَطيراً .»

وَظَهَرَ روكاسل عِنْدَ البابِ ، وَكانَتْ في يَدِهِ هِراوَةٌ ، فَقَفَزَ شِرْلوك هُولْمز إلى الأمامِ ، وَصاحَ : « أيْنَ ابْنَتُكَ ؟»

صَرَخَ السَّيِّدُ روكاسل : « وَأنا أسْألُكَ السُّؤالَ نَفْسَهُ . لَقَدْ أمْسَكْتُ بِكَ ، وَسَتَنْدَمُ عَلى فَعْلَتِكَ كَثيراً !» ثُمَّ اسْتَدارَ وَنَزَلَ الدَّرَجَ مُسْرِعاً .

صاحَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر : « سَوْفَ يُحْضِرُ الكَلْبَ !»

قالَ هُولْمز : « عَلَيْنا بِغَلْقِ البابِ الأمامِيِّ .»

وَأسْرَعْنا نَنْزِلُ الدَّرَجَ ، ثُمَّ سَمِعْنا نُباحَ الكَلْبِ وَصَيْحَةً فَظيعَةً ، وَدَخَلَ رَجُلٌ عَجوزٌ مِنَ البابِ الجانِبِيِّ ، هُوَ السَّيِّدُ تولَر .

صاحَ : « يا إلهي ! لَقَدْ أطْلَقَ أحَدُهُمْ الكَلْبَ . إنَّني لَمْ أطْعِمْهُ مُنْذُ يَوْمَيْنِ . أسْرِعوا بِالهَرَبِ قَبْلَ فَواتِ الآوانِ .»

انْدَفَعْنا بِرُفْقَةِ هُولمز خارِجَ المَنْزِلِ ، ورَأَيْنا الكَلْبِ الأسْوَدَ الضَّخْمَ يَنْقَضُّ عَلى السَّيِّدِ روكاسل الَّذي كانَ مَطْروحًا عَلى الأرْضِ . وَكانَ الكَلْبُ يُمَزِّقُ بِأنْيابِهِ رَقَبَةَ الرَّجُلِ المِسْكينِ . وَأسْرَعْتُ نَحْوَ الكَلْبِ وَأفْرَغْتُ رَصاصَةً في رَأسِهِ فَصَرَعْتُهُ ، ثُمَّ قُمْنا بِحَمْلِ السَّيِّدِ روكاسل إلى داخِلِ المَنْزِلِ ، وَكانَتْ إصابَتُهُ بالِغَةً .

وَدَخَلَتْ امْرَأةٌ مَمْشوقَةُ القَدِّ إلى الغُرْفَةِ .

صاحَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر بِدَهْشَةٍ شَديدَةٍ : « السَّيِّدَةُ تولر !»

أجابَتِ السَّيِّدَةُ : « لَقَدْ أطْلَقَ سَراحي السَّيِّدُ روكاسل ، وَأخْبارُ الآنِسَةِ روكاسل كُلُّها عِنْدي . لِمَ لَمْ تَسْأليني عَنْها ، يا آنِسَةُ هنتر ؟»

قالَ هُولمز : « يَبْدو أنَّ السَّيِّدَةَ تولر تَعْرِفُ عَنِ الأمْرِ أكْثَرَ مِمّا نَعْرِفُ .»

قالَتِ السَّيِّدَةُ تولر : « هَذا صَحيحٌ ، يا سَيِّدي .»

قالَ هُولمز : « إذًا أخْبِرينا بِما تَعْرِفينَ .»

سَأَلَتِ السَّيِّدَةُ تولر : « هَل الشُّرْطَةُ في طَريقِهِمْ إلَيْنا ؟»

قالَ هُولمز : « قَدْ يَكونُ الأمْرُ كَذَلِكَ .»

قالَتْ : « لَقَدْ ساعَدْتُ الآنسَةَ أليس . قولوا ذَلِكَ لِلشُّرْطَةِ . لَمْ تَكُنْ سَعيدَةً هُنا أَلْبَتَّةَ . ثُمَّ الْتَقَتْ وَالسَّيِّدَ فاوْلَر ، وَأرادَتِ الزَّواجَ بِهِ . وَكانَ لَدَيْها مالٌ وَرِثَتْهُ عَنِ المَرْحومَةِ والِدَتِها . وَطَلَبَتْ إلى أبيها أنْ يُعْطِيَها مالَها ، لَكِنَّ السَّيِّدَ روكاسل رَفَضَ ذَلِكَ . إنَّ السَّيِّدَ روكاسل ضِدُّ زَواجِ ابْنَتِهِ ؛ لأنَّهُ يُريدُ أنْ يَحْتَفِظَ بِالمالِ لِنَفْسِهِ . لِذا أغْلَقَ عَلَيْها بابَ الحُجْرَةِ وَنَوافِذَها ؛ مِمّا أدّى إلى مَرَضِها مَرَضًا عُضالاً أَلْزَمَهُمْ قَصَّ شَعْرِها . وَعِنْدَما تَحَسَّنَتْ صِحَّتُها عاوَدَتْها رَغْبَةُ الزَّواجِ بِالسَّيِّدِ فاوْلَر .»

قالَ هُولمز : « وَهكذا حَبَسَها السَّيِّدُ روكاسل في تِلْكَ الحُجْرَةِ مِنَ الطّابَقِ العُلْوِيِّ ، وَأحْضَرَ الآنِسَةَ هَنْتَر لِتَحُلَّ مَحَلَّها ، وَطَلَبَ مِنْها صَرْفَ السَّيِّدِ فاوْلَر .»

قالَتِ السَّيِّدَةُ تولَر : « هَذا صَحيحٌ ، يا سَيِّدي .»

قالَ هُولمز : « لَكِنَّ السَّيِّدَ فاوْلَر لَمْ يَنْصَرِفْ ؛ لأَنَّهُ لا يَزالُ يُحِبُّ الآنِسَةَ روكاسل ، وَقَدْ تَحَدَّثَ إِلَيْكِ حَوْلَ ذَلِكِ عِنْدَما كُنْتِ في القَرْيَةِ ، وَأعْطاكِ شَيْئًا مِنَ المالِ لِقاءَ مُساعَدَتِكِ إِيّاهُ .»

قالَتِ السَّيِّدَةُ تولر : « إِنَّ السَّيِّدَ فاوْلَر رَجُلٌ لَطيفٌ .»

قالَ هُولمز : « وَقَدْ أخْبَرْتِهِ أَنَّ زَوْجَكِ سَيَكونُ في القَرْيَةِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ .»

قالَتْ : « هَذا صَحيحٌ ، يا سَيِّدي ، وَقَدْ وَضَعْتُ لَهُ سُلَّماً عِنْدَ المَنْزِلِ .»

قالَ هُولمز : « شُكْرًا لَكِ ، يا سَيِّدَةُ تولَر . ها قَدْ عادَتِ السَّيِّدَةُ روكاسل وَمَعَها طَبيبٌ ؛ لِذا فَإِنَّنا نَسْتَطيعُ أَنْ نَرْحَلَ الآنَ ، يا واطْسُن . وَيَنْبَغي أَنْ نَصْحَبَ الآنِسَةَ هَنْتَر إلى وينشستر ، فَلَيْسَ بِإِمْكانِها البَقاءُ هُنا بَعْدَ الآنَ .»

وَهَكذا انْجَلى سِرُّ مَنْزِلِ (أشْجار الزّان النُّحاسِيَّة) . وَقَدْ تَمَكَّنْتُ

مِنْ إنْقاذِ حَياةِ السَّيِّدِ روكاسل ، لَكِنَّهُ لَمْ يُشْفَ مِنْ إصابَتِهِ شِفاءً تامًّا ، فَقَدْ نَجَمَ عَنْها عاهَةٌ مُسْتَديمَةٌ . أمّا ابْنَتُهُ فَقَدْ تَزَوَّجَتْ بِالسَّيِّدِ فاوْلَر ، وَهِيَ تَعيشُ مَعَهُ عيْشَةً هانِئَةً في أسْتُراليا . وَكانَ إعْجابُ هُولْمز بِالآنِسَةِ ڤيوليت هنتر إعْجابًا شَديداً ، إلّا أنَّها لَمْ تَعُدْ مِحْوَرَ قَضِيَّةٍ ؛ لِذا فَما أسْرَعَ مانَسِيَها ! وَهِيَ الآنَ مُعَلِّمَةٌ مَحبوبَةٌ في إحْدى مَدارِسِ لَنْدَن .

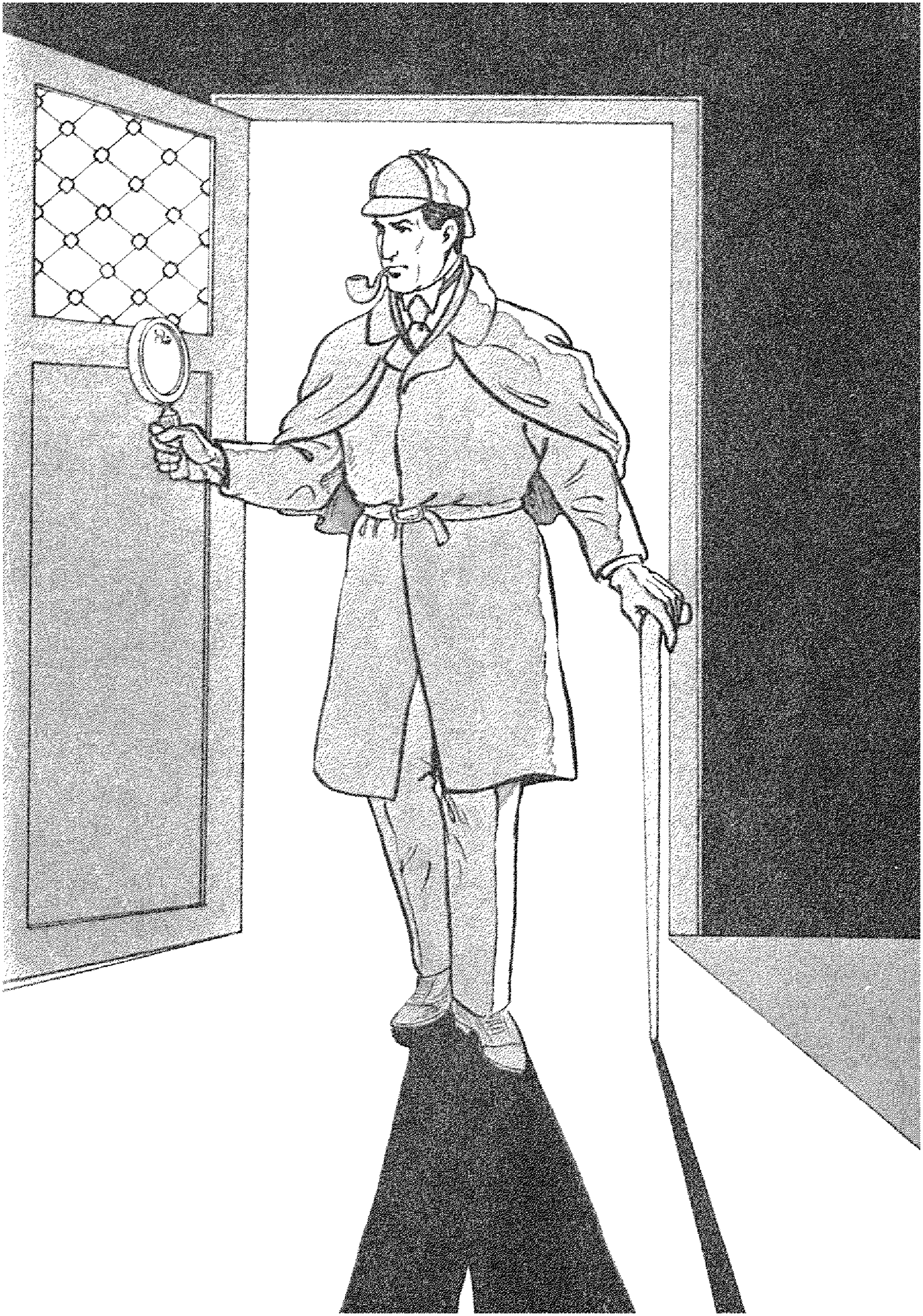

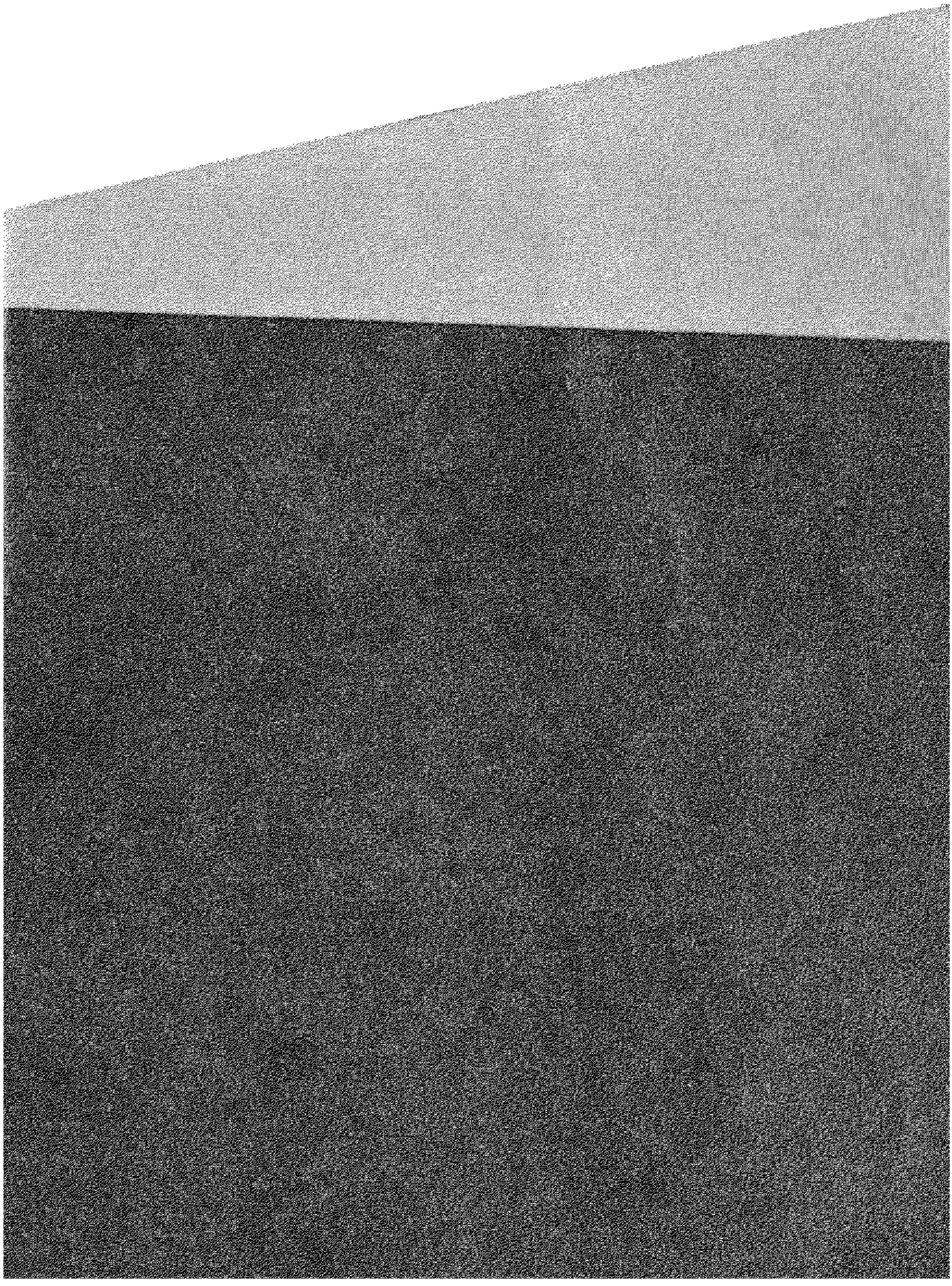

مغامرات شرلوك هولمز

١ – العصابة المرقطة وقصتان أخريان .

٢ – النظارة الذهبية وقصتان أخريان .

٣ – عصبة ذوي الشعر الأحمر وقصص أخرى .

٤ – الماسة الزرقاء وقصص أخرى .